

دار (حمارتك العرجا)
للنشر الإلكتروني

سلسلة روايات عربية معاصرة
(٧)

نجمة يناير

رواية

أشرف توفيق

حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني
طبعة أولى
أغسطس ٢٠١٥

سلسلة روايات عربية معاصرة (7)

نجمة يناير

رواية

أشرف توفيق

حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني

طبعة أولى

أغسطس 2015

سلسلة روايات عربية معاصرة (7)

سلسلة تصدر عن حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني

المؤلف: أشرف توفيق

العنوان: نجمة يناير

التصنيف: رواية [فن السرد، أدب عربي معاصر]

الطبعة الأولى: أغسطس 2015

تصميم الغلاف: المبدع محمود الرجبي

تصميم الكتاب ومراجعته لغويا ونحويا: د. جمال الجزيري

الناشر: حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني

دار نشر إلكترونية مجانية لا تهدف للربح

للمراسلة لنشر أعمالكم في السلاسل المختلفة التي تصدرها حمارتك العرجا، الرجاء تقديم طلب على موقع الدار:

http://homartkelarja.wix.com/homartk

https://www.facebook.com/Hemartakalarja

/https://www.facebook.com/groups/Hemartak.Alarja

وإرسال الملف وفقا لشروط النشر على إيميل الدار باسم د. جمال الجزيري أو على إيميله الخاص:

elgezeery@gmail.com

hemartak@gmail.com

"وأما الأخبار التي بأيدينا الآن..

فأننا ندخل لها بغالب الظن..

لا بالعلم المحقق".

ابن النفيس

(1)

من يتوقع نوايا الحب الإجرامية فنحن لا نشتبه في الحب؟ لذا يظل العشاق في خطر، فقد يغير الحب نفسه من عشاقه!

لماذا لا يكتبون في صفحات الحوادث: عن جرائم قتل الحب يسمونها جرائم العشق: من دس السم في تفاحة الشوق، ومن رفع مسدس الغياب في وجه حبيبه مهدداً بالفراق. ومن غرس خنجر الاعتزال في الأوقات بعد أن برمجت الأوقات ساعتها على زمنه، الحب سريع التقلب (فالمرأة والمناخ، والحظ)، كلها سريعة التقلب كما يقول المثل الإسباني.

القاهرة – 2010

أذهب للمكتب مباشرة، وهو شقه فاخرة مطلة على ميدان التحرير من نهاية شارع قصر النيل. وفى طريقي له كانت ثمة مظاهرة منتظمة تعوق المرور وصل لي أن سببها شاعر:(حكم عليه بالسجن 3 سنوات بسبب تهم تتعلق بإهانة الرئيس مبارك، وبسبب ضغوط من "جمعيات حقوق الإنسان" تمت تسوية قضائية جعلت الحكم الغرامة 100 ألف جنية، ولعدم تمكنه من تدبير الغرامة استمر حبسه؟! ومع إلقاء القبض على 3 مدونين تابعيين للإخوان المسلمين، اشتعلت المظاهرة.

تبين لي أن ساميه صليب قد سبقت لحجرة المكتب التي تجمع ثلاثتنا :أنا وهى والأستاذ إبراهيم. كانت منكبة على (اللاب توب) ولكنها انتبهت لحضوري الصاخب. فأنا لا أعرف الجلوس للمكتب قبل استدعاء القهوة وبري بعض الأقلام الرصاص، فلازلت لا أكتب المذكرات القانونية إلا بعد عمل بروفه ورقية بالقلم الرصاص.

أظهرتْ تبرما (معتاد عليه) مع دخان سيجارتي الأولى والمبرد "التكييف" يعمل. أشارت بيدها وبنظرة حادة أن أخرج للكريدور؟! أعرف كتالوجها:

فقد مرت سنوات منذ تخرجنا في الجامعة والتحاقي بالعمل بمكتب سراج يس بالجيزة، حيث لحقت بي لكون شقتها الجديدة بعد زواجها بشارع فيصل قريبة للمكتب، ولكن القدر عاند فرحتها، فمات زوجها في أيام شهر العسل الأولى، تركت كل شيء: الشقة والمكتب لبيت أهلها وانقطعت أخبارها، حتى اتصلتْ منذ شهور، وعرَّفتني بأنها عادت للعمل بمكتب الأستاذ "داود مهران" بوسط البلد وأنها تعد السكرتيرة التنفيذية للمكتب، وعرضت العمل بالمكتب وبفلوس زيادة، فحملت (زادى وزوادى) ورحلت لوسط البلد لأعمل معها. تظل ساميه عالقة في زاوية ما من ذاكرتك ببساطتها وشياكتها وروحها. فحدثتها عن جمال شعرها "كانت قد شكلته مشات.."

قلت لها: أن تاييرها القصير الجديد "البينك" يتحرش بي بقسوة؟! وعليها أن تراعى بأن مكتبها يواجه مكتبي؟

فشدت جيب التايير القصير بأنامل رقيقة كلها حياء. غازلتُها بعد استسلامها لدخان سيجارتي بأنَّ عيْنَيْها بلَوْن بُحُور الْجنَة، استفسرت، كانت عيناها عسليَّة وبالجنَّة بحَورٌ من عسل.. قهقهت؟! ولكنها غيرت الموقف برمته، وبدت تتحدث بجدية:

-فهل ستتهرب دوما أمام أي معنى ديني؟! فمنذ أيام الجيزة والوحدة الوطنية تعانى بيننا من مرض الحساسية – !!

فمن وقت الجامعة علقت معي زميله من الجامعة بطريقه نظرة فابتسامه فكلام إلى آخره، حتى وصلت للهيام واستمر ما بيننا حتى وقت عملي بمكتب (سراج يس). كانت وقتها ساميه تعيش الحب منذ (ال2/1 أكليل ثم وهى متزوجة) وتقوم بدور المستشار العاطفي معي، حتى فجر حديثنا لغما قديما مخبأ بين طيات العقل الباطن (حين قالت

الوصال ممكن أعاونك، هدية بسيطة، فستان مثلا، هل هي لها نفس مقاساتي؟ ثم ما ألوانها المفضلة؟ أتحبها في القصير أم الضيق؟

قلت: كيف لي أن أعرف قياس امرأة ما سبرت جسدها إلا بشفاه اللهفة؟

فقالت: يقولون عليها إنها حلوة؟

فقلت: لندع النساء الجميلات للرجال الذين لا خيال لهم؟!

قالت: الرجال الذين يملكون خيالا يملكون حلولاُ؟!

ثم قالت عبارة سخيفة: اعتبرْها من المؤلفة قلوبهم حتى تؤمن بك؟

وعند إيقافها للمناقشة انصرفت فـ (المؤلفة قلوبهم) في خيالها (مسلمون بالإيجار) يدفع لهم النبي ليضمن أن يكونوا معه - أنهم بين بين ويحتاجون لوقت للإيمان.. ولذا حقق هدفاً ما معهم بأن يأمن شرهم؟! أحبيبتي كانت بين أن تكون

معي أو تكون مع غيرى؟! أم أنى متهم بالبخل مع الحبيب؟ أم كنت "عٌمَرى الهوى" في عشق النساء؟ ألغى عمر بن الخطاب سهم المؤلفة قلوبهم وألغيت رشاوى الدباديب في حب النساء! على العموم انتهينا أنا ونجمة.. وأنهينا ما كان بيننا من خلاف أنا وساميه؟)

سردٌ أولٌ:

كيف تركت حبيبتي "نجمة" التي قالت عنها سامية: يقولون: إنها حلوة؟ !

تلك الصحفية القصاصة السكندرية التي أحببتها ولعبت معي لعبة (عذرية شهرزاد) وحتمية عذرية الأدب النسائي؟! فألف ليلة وليلة، لعبة الحب والحرب، والقباحة، وما هو أكثر، وقد لعبتها للكتابة؟ وأعترف بأن لعبة الكتابة لا تفلح لعلاقات العشق؟! ولكنها عاشت بها وصدقتها، فهي تعتقد أنها شهرزاد الجديدة (قصصها القصيرة أحلى من لياليها الطويلة، جملها أطعم من قبلاتها، التناص والمجاز والتشبيه قمصان نومها الخليعة) وأنى ليس على "إلا" مباركة هذه الموهبة، أستمتع بحبى من خلال قصصها وأذوب فيها "بلا" مس ولا مساس، شيء يسمى في علم النفس "حب أفلاطوني". ورغم أنى: أحضرت لها "الف ليلة وليلة" بأجزائها الأربعة وأثبت لها من قصة السلطان محمود صاحب الجزائر السود في الجزء الأول إلى قصة قمر

الزمان وعشيقته في الجزء الرابع، أنها حكايات أرادت بها "شهرزاد" الحقيقية أثارة زوجها شهريار جنسيا وتخليصه من قسوته التي أصابته عقدتها، بسبب خيانة زوجته الأولى له مع عبيد القصر! وقد يكون شهريار عنيناً حتى تفعل زوجة الملك ذلك! وكيف حولته شهرزاد من قاتل شرس إلى زوج وأب لثلاثة أولاد؟! وبالحساب ألف ليلة قضت منها شهرزاد (810 ليلة) حامل ومنفوخة البطن ولكنها تصر على نظرية "العذراء"، فطوال الألف ليلة كانت شهرزاد عذراء من غير سوء! لأنه لو ضاجعها الملك شهريار لأمر (منصور السياف) بقتلها في الصباح، ولكنها تحكى القصص حتى ينام شهريار مع صياح الديك لتأمن استمرار حياتها، وتدّعى أن " سهير القلماوي" لم يثبت لديها في رسالتها التي أشرف عليها (طه حسين) إلا أن شهرزاد عذراء! وأنها لن تستسلم للنظريات الذكورية حول شهرزاد!

حملة نابليون على الأستاذ جبران

أعود من سرحاني الذى تداخلت فيه الذكريات بأحلام اليقظة.. هل سامية اليوم خافت أن أكمل غزلي؟! بعد الشعر والعيون، والأثار الجانبية للتايير(البينك)؟! تنبهت لها تقول: قضية جديدة من دار النشر، رواية الأستاذ جبران بها نقل بالمسطرة من كتاب لدكتورة بجامعة القاهرة.

قلت لها: وكيف عرفت؟

أكملت: الأستاذ نفسه أشار لذلك في الهوامش؟

قلت لها: المرأة لا تتحمل صدق رجل؟! أين الأستاذ إبراهيم، لم يحضر منذ يومين؟!

قالت: بيقول البواب ومراته بلدياته وعندهم مصيبة.

ضحكت وهمست: جلسة التحقيق اليوم، وسيكون الأستاذ جبران وخليل الغمري هناك..

استفسرت: ولماذا خليل الغمري صاحب دار النشر؟! قامت من جلستها وأعطتني نسخة من الرواية وقد أشارت

على صفحتين بالقلم الفسفوري الأصفر، عرفت أنهما موضوع الشكوى.

قالت: الدكتورة فتحت النار على الجميع.. وطالبة مليون جنيه تعويض فحدث رعاش الركب..

كانت أعدت على (اللاب توب) ملخصا بالمواد القانونية وضعته في ملف كتبت عليه "مصنفات فنية.."

موضوع الرواية كان عن باحث يشغله سؤال: هل الغزو العسكري يحمل معه الحضارة للبلاد التي تم غزوها أم يحمل الدمار؟! باعتبار أن الدولة الغازية بالطبع أكثر تقدما والدولة التي يقع عليها الغزو هي الأضعف، وبالطبع يعود في روايته لعدة مراجع وبحوث ويحضر مؤتمرات، ولسوء الحظ، وقع على كتاب د. "جيهان" فانتحل منه صفحتين.

جلسنا بالمحكمة الاقتصادية القريبة من كارفور وحضر عن الست جيهان - الشاكية - محامٍ مشهور تخصص في قضايا النشر (عرفناه في وقت الدراسة بالحقوق

بعد أن ترافع في قضية (مصطفى أمين ونجاة الصغيرة) في التسعينات، فمصطفى أمين كتب مقالا بعنوان (من قتل كامل الشناوي؟!) وطلب من سيد عبد الفتاح أن يرسم صورة للشاعر والمقابر مع الجزء الأكبر من وجهه المطربة نجاة الصغيرة ليرفقه بمقاله وتم النشر بأخبار اليوم. وقاضت نجاة الصغيرة الكاتبَ والرسام ورئيس التحرير إبراهيم سعدة وقالت في دعواها :لقد سبني، وقذفني واتهمني بما ليس فيّ، وكتب ورسم صورتي، لقد فضحني؟!.

وجاء الأستاذ وترافع: (أنه لا يمكن معرفه الشخص بالوصف باليقين وإنما بالحدس والتخمين، طالما أنه لم يصرح بالاسم. أما الرسم فيمكن أن يتشابه، فالرسم ليس في حجية الصورة الفوتوغرافية، وعلى الرغم من عدم تصريح موكلي باسم المدعية، فقد أتت لتقول إنها أنا؟.. ثم ما حكم المحكمة إذا كانت كل الوقائع صحيحه وتعرفها كل مصر.. كيف تكون الكلمة قذفا وسبا إذا كانت كل الوقائع صحيحه؟!.. لا توجد كلمه عيب ولكن يوجد فعل عيب، فإذا وصفت الكلمة

الفعل بحقيقته فالعيب على الفاعل لا الكاتب.. العيب في الوقائع وليس (المقال)..

وقبل الحكم سحبت نجاة الصغيرة القضية.

حاولت أن أوقف رعشة الركب في الكاتب والناشر، بأن خاطبته:

يا أستاذ (مادة 47 – مكرر من (ق) مصنفات فنية: يعاقب على مخالفة المادة 7 مكرراً بالحبس مدة لا تتجاوز ستة أشهر وبغرامة لا تقل عن ألف جنيه ولا تزيد على ثلاثة آلاف جنيه، أو بإحدى هاتين العقوبتين) فكيف تطلب الدكتورة مليون جنيه تعويضا؟! حتى مع التسليم بحقها فيما تدعي؟!..

كان لهذه المبادرة فعل السلامة على الكاتب والناشر.. وفى مكتب القاضي بدأ التحقيق بإعداد الدعوى للمحكمة.. كررت ما قلته داخل الحجرة، نبهني المحقق إلى عدم الحديث

إلا عند السؤال، أبديت تأسفي بحركة الجسد ،وقلت: أسف يا ريس..

وتأكدت بحدسي من توازنه وحياده، وعدم تأثره اللاشعوري بالمحامي الشهير..

على العموم قال محامى المدعية فينا ما قال مالك في الخمر، بأننا: سرقنا ثلاث صفحات من كتاب، بلغ الجهد فيه أنه يمثل رسالة علمية حيث تعرض كتابها للحملة الفرنسية على مصر، حصلت بمقتضاه السيدة على الدكتوراه وهو ليس مجرد نص عربي كما ظهر، بل سبق ذلك ترجمته من الفرنسية للعربية حيث حصلت كاتبته على الدكتوراه من جامعة ليون، والغريب أن الكاتب استخدم في روايته نصوصا من الكتاب، على عكس ما ذهبت له صاحبة الكتاب في نصها، فلقد جاء كاتب الرواية بشخص "من بنات أفكاره" في روايته ليقول ما قالت موكلتي باعتباره مؤيدا للحملة الفرنسية، وأن تاريخ مصر المعاصر يبدأ بهذه الحملة، لقد سرقوا وحوروا فيما يمس موكلتي الذى كان كتابها يثبت

العكس تماماً، وبذلك حللوا لأنفسهم ما حرمه القانون مخالفين عن إصرار وتعمد (مادة من (ق) مصنفات فنية - للمؤلف وحده إدخال ما يرى من التعديل أو التحوير على مصنفه. ولا يجوز لغيره أن يباشر شيئاً من ذلك أو أن يباشر صورة أخرى من الصور المنصوص عليها في المادة الثالثة إلا بإذن كتابي منه)..

جاء دوري، فرددت بأن (ق) مصنفات فنية ورد فيه م13- لا يجوز للمؤلف بعد نشر المصنف حظر التحليلات والاقتباسات القصيرة إذا قصد بها النقد أو المناقشة أو الإخبار ما دامت تشير إلى المصنف واسم المؤلف إذا كان معروفاً. ولم نزد عن ذلك، نقلنا عن الكتاب وذكرنا ذلك بالهوامش، وكان هدينا لذلك مادة 17- فقرة (أ) من نفس القانون الذى تذكر في الكتب الدراسية وفي كتب الأدب والتاريخ والعلوم والفنون يباح: نقل مقتطفات قصيرة من المصنفات التي سبق نشرها.

أنهيت كلامي بعبارة: "لقد رددنا على تهمتنا بالقانون ومحصنا كل لبس ونطالب بأن يكون قراركم العادل بعدم قبول الدعوى" وحتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود أقدم بين عدالة المحكمة ثلاث مواقع على النت تسرق الكتب جهارا نهارا من أصحابها وتعرضها مجاناً pdf. إنها لم تقتبس سطرا، ولم تعرض صفحة، ولا حتى فصلا، إنه الكتاب كله؟

بدا القاضي المعد للدعوى متردداً في القبول وبخاصة بعد أن حاصره محامى المدعية، بأنى أستشهد بعصابات لتعليل النشل الخفيف؟! قلب الدعوى بسؤال طرحه.. وهو يلعب بيديه في الهواء وبصوت "جهوري" قاطع النبرات. هل حصل الكاتب على إذن كتابي من موكلتي بالنقل من مصنفها "كتابها" أم لا؟!

إذن كتابي؟ قاطعته بأن للدكتورة/ فوزيه عبد الستار تخريج بتفسير(الإذن) في حالتنا بواجب الإشارة في الهوامش أو المتن للكتاب الأصلي وكاتبه. وقد فعلنا ذلك بإسهاب..

قاطعني بحدة: هذا اجتهاد فقهاء القانون، ولكن النص بالقانون على الإذن الكتابي؟!

ولأن عيون قاضى إعداد الدعوى لم تحسم الموضوع فكان قرارة العرض على محكمة الموضوع. مما يعنى الدخول في جلسات قضائية مرهقة، تنتهى بحكم بالإدانة أو البراءة.. كم كنت أطمح في إنهاء الموضوع برفض الدعوى في نفس الجلسة!!

انتشى المحامي الشهير بغرور وتقدم مساعدوه يخلعون عنه الروب الأسود ويقرعونه بعبارات الإطراء المثقلة بكثير من النفاق.. يالا الجحيم؟

أهرب من الجحيم، بالتليفون وأكرر رقم اعتاد صاحبه أن صوت الهاتف صوت رزق. أو كما يعلل: التليفون (سبوبة) رزق يسعى إليك، يتوقعها المحامي- فالرزق رزقان: رزق يسعى إليك ورزق تسعى إليه؟!

يرد إبراهيم: تصور "وداد قرني" مرات البواب جمعت بين ثلاثة أزواج؟

أجيبه عبر الأثير: اوعَ تكون واحد منهم يا أستاذ ..

يقول: بلاش روايات. أنا وشى كان زيّ السمسمة وبنت الايه تقول للضابط هم بيسبونى ويطفشوا وعشان العيال، قلت ضل راجل؟! ألغِ موعد اليوم، ولن أحضر للمكتب غداً، فلابد من البحث عن زوجها (الأول)، فهو الحل باعتباره (الزوج الشرعي) أمام القانون؟! فالقانون يعلق تحريك الدعوى الجنائية في (الزنا) على الزوج، وحتى بعد السير في الدعوى له حق التنازل، فتنقضي الدعوى؟!

أقول: وأنت مالك؟! لا مؤاخذة هو بواب العمارة جوز أمك.. ولا مراته من بقية عيلتك. ثلاث أزواج في حجر أفعى.. اوعَ تعضك!

قال: البواب.. ومراته أهم شخصين في حياتي، تنظيف الشقة والغسيل ولا مانع من طبخة سخنة، دول بلدياتي، دي

البلد تأكل وشى لو قلت أنا مالي؟!..أنا بفكر أخبيها عندك يومين، أصل في (امر بالقبض والإحضار) لغاية ما أجيب قرار(جوزها الأول)، وهى تنضف لك شقتك المتنيلة بطين وكله بثوابه.. لماذا نجعل القانون في خدمة الإليت فقط؟ فإذا وقع الغلابة تخلى القانون عنهم.. يقهقه ساخراً.

أترك المحكمة بعد نهاية الجلسة لجراج (الجلاء)، في الجانب الأخر من الجراج تشطيب على قدم وساق لمبنى كبير للبنك المركزي. ألم يجدوا غير هذا الشارع الضيق مكانًا للبنك؟!

أصطدم بزيادة أجرة (الجراج) الشهرية 10%. أدفع صاغراً ومتوقعاً زيادة أخرى قريبة مع بداية افتتاح البنك المركزي. أوصيهم بالسيارة، فسأتركها لأيام بسبب السفر، أدخن في نهم. أنوى السفر للإسكندرية. تهب على رائحة (نجمة) كلما سافرت للإسكندرية. إن أصعب شيء على الإطلاق هو مواجهة الذاكرة بواقع مغاير. كانت معي والأن فرت.. أسير في قلب (وسط البلد) شتات لمقاهٍ متفرقة .

رائحة الأماكن تنقل لي عفونتها، تلك الرائحة حين تطول الخلافات كل شيء وتصل إلى عجين الخبز ومذاق الشاي. طاولات المقاهي تمتلئ ببنات يتناولن الطعام الرخيص، تمتد أيديهن لعبوات الكشري، ونظرات عيونهن للمارة، يلعبن لعبة الحب بتكتم، بعض الشباب السريحة المرتبك بين التدخين ومراقبه بضاعته المعروضة على الرصيف خوفاً من "شرطة المرافق" ينفس عن نفسه بالبيع بالعشق المباشر؟! بعبارات لا تروج للسلعة، وإنما تنادى بالرغبات:(بلاش ال7 ونص عندنا ب2ونص)، (كمبلزون: أكلك منين يا بطة)

شط إسكندرية.. يا شط الهوى

ركبت الأوتوبيس المكيف من التحرير "السوبر– جيت". التقيت بالمصادفة بسيدة أربعينية العمر، هيفاء كانت فى حجاب مزركش وبنطلون جينز وتيشرت أصفر بَدِى ضيق، وجهها صبوح وعيناها واسعتان عسليتان بفعل العدسات الطبية التي لم تتخلص منها رغم السفر! تعرفنا بالشبه، فهي جارة قديمة لنا من الإسكندرية، فدبرنا مع المحصل أن نجلس معا على المقعد المزدوج، فدبر أمره، بتوافيق وتباديل يسرتها الجنيهات الخمس التي دسستها له خلسة.

في البداية أخرجت (دعاء الصباح والمساء) وطلبت منى أن أُؤَمِّن على ما تدعو به، فأقول وراء الدعاء "أمين"، ولكن عند وصولها إلى الأدعية التي تتطلب التكرار بأعداد كبيرة 100 مرة وأكثر، أظهرت اكتفائي بهذه البركة، استمر الأمر بيننا هكذا حتى (الرست) نصف المسافة تقريباً - لم يقطع الحال إلا كرمها بالشوكولاتة والسندوتشات؟! في

(الرست) انحلت العقد، كانت انتهت من وردها وشعرت بتعب السفر وطول مدة الجلوس، فلم تمانع في دعوتها لفنجان قهوة، واندهشت لطلبها سيجارة قائلة :أنا لا ادخن.. خفيف. مع القهوة؟ تسألني: لماذا لم أرتبط للأن؟

فهي نظرت إلى يديّ اليمنى واليسرى فلم تجد دبلة، وبالطبع حشرت الدين باعتبار الزواج نصف الدين، ألقت بحجر في بئري، لعلها تخرج منى بخبر. تعتبرها تسالي سفر!!

قلت باختصار حتى لا تفضحني فوضى الحواس: كان عندي مشروع حب لم يوصله الطرف الثاني للزواج، صنعت فراقاً جميلاً.

قالت: بسخرية مستترة: وهل ثمَةُ فراق جميل؟!

قلت: جاءت هي بنظرية خيالية للفراق!؟ فللمثقفين جنونهم.. ثم كتبت قصة عبرت عن نظريتها مع الاستئذان بالانصراف! تزوجت القلم!

تبادلنا الأسماء، وأرقام الموبيلات واتجهنا للأتوبيس (السوبر– جيت) لاستكمال الرحلة وهى تصر على سماع حكاية غرامي؟ أثارها ما قلته من أن نظريه فتاتي في الفراق. قصصت عليها بإسهاب قصة الصحفية القصاصة السكندرية التي أحببتها ولعبت معي لعبة (عذرية شهرزاد) وحتمية عذرية الأدب النسائي؟! مصمصت شفتيها، وعدلت حجابها. طول السفر كانت مُرْتَبِكَه مع تدرُّجٍ مِزاجِيٍّ فيما يُظْهر من شعرها، أَخَصْلَة تكفي؟!أم ترفع حِجَابها وتربطه بقسوة فلا يُظْهِرُ شعرها؟! قالت: مادام الحلوة من ميامي فسيبها لي حأجيب لك قرارها؟

أصل ميامي منزلنا القديم حيث تقيم والدتي بعد إصرارها على ترك شبرا بعد وفاة الوالد "العميد مراد الجارحي" ودفنه بالإسكندرية، قالت (البحر أولى بي، ولولا أبوك أخرجني منها ما خرجت، ولم يراجعها أحد، ففي أدبياتها يوم قابلت أبى ذات صباح عند "بير مسعود" فذهب

في اليوم التالي لخطبتها ولم يشترط أهلها عليه إلا شرط طلبته هي، ألا تترك البحر!..

وخالف أبى تعهده للبحر بعد قليل بحكم عملة بالبوليس بين المحافظات ولكنها ظلت وفية للبحر للمالح كما تسميه، وكم أتعبني وأختي ارتفاع أمواجه وثورة غضبه! كان البحر بينهما؟!. مثلما كان القلم بيني وبين نجمة فتاتي السكندرية الجميلة؟ فهل ورثت أبى! هو لم يكن يرى ذلك ويعتقد أن أختي هدى الكبيرة هي التي أخذت عنه عمق عينيه وكل صفاته.. وها أنا أكتشف أنى ورثت همومه؟! أعاود الحنين لنجمة، أخاف ألا أنسى، فالفراق من المواد العضوية التي تتغذى عليها شجرة الذاكرة!!.

مرهقا ومتشوقا كنت لطعام وحضن الوالدة. تناولت العشاء في حضن أمي وسط حنان ودعاء لا يعرف الفراق. في الصباح بلا نوم ذهبت بالطبع مع أمي لقبر أبى أتسكع بعد الزيارة معها على (بير مسعود)

فتحكي الذكريات: (كيف عاشت مع الأرمن بشبرا، وتعلمت منهن حقن "الإبر" بعد أن رأت "نونا" جارتها (النيرس في مستشفى كوتشنر) تعطى أبى حقن الأنسولين في دلال وهو يقول لها: مش بس ايدك حنينة.. أنت كلك حنان) ثم تقول: ما يجوز على الميت إلا الرحمة؟! (وكيف سكنت في منزل صاحبه خواجة إيطالي مسيحي، كان يرش الشارع كل يوم بالشورت والفانلة وأبوك يقول له: (استر نفسك يا "منولى" في حريم. والخواجة يقوله: بأنضف خبيبى!)

(وكيف كان لها جارات مسيحيات طيبات تعلمت منهن التطريز والكورشيه وعلمتهن الطبخ والكعك، وكان بينهن أسرار حتى أنها اقتنعت بنصيحة جارتها الطبيبة "مارلي" ولم تطاهر (الختان) أختي الكبيرة،) وقصت كيف أن جدى من أبى قرر إحضار "قارئ قرآن" كما تقول: لكثرة خلافاتنا الفارغة أنا وأبوك،: (كان يأتي كل يوم اثنين ليقرأ "سورة البقرة" فهي تقى البيت من الشيطان باقي الأسبوع، ولما كان الاثنين ميعاد "الزيارة" عندي كنت أخليه يقرأ سورة "مريم"

وكان جيرانها (المسيحيات) يسمعن بلا تضرر، أما جارتها "الطبيبة مارلي" فكانت تبكى وتتشنج ثم تقول:(أختك تزوجت وهى طالبه في الجامعة، أنت مستني أيه ياواد اللي زيك عندهم ولاد في "الكى. جى" أبوك لما اشترى شقة "مدينة نصر" قال لى دي شقة الولد، أحنا قعدنا فيها عشان نفرشها لك، ولم يكن لي ولا له ذكريات فيها، كان يحب يجرى على شبرا، كان يحب فيلة شبرا)

أضحك بين نفسى فالشفه الأبهة 90 متر؟!

أتشبث بالهواء البارد، البحر لم يطفئ اشتياقي النازف إلِيها، بل أعادها لي كورنيش المالح كان شاهدا على الحب.. فلماذا عند النيل كان الفراق؟ "أنا ونجمة" ارتبطنا في الدراسة، هي في الآداب، وأنا في القانون، ثم حدث الوئام النهائي الطويل بين الوالدين عند زواج أختي؟! عشنا في شبرا، ثم في سنة 2002 انتقلنا لمدينة نصر، وانتهى ما بيننا، غيّرنا المكان فانتهى الحب سريعا (فنظرة الفرد للمكان ترتبط ارتباطاً وثيقا بنظرته لذاته) كما يقول."ادوارهال"

كان غيابها طويلاً وحضورها عابراً، فلماذا اختارت القطيعة الحاسمة رغم أن الظروف هيأت وصالاً متصلاً الآن؟

تلاحظ الوالدة سرحاني، فتطلب منى توصيلها للبيت بذكاء وذوق، تعللت ببرودة الجو!! لا أحد يعرف قوتها ودهاءها مثلى، إنها امرأة كان لها دولة؟!

أمي اعتادت أن تأمر فتطاع.. أختي الكبرى هدى مثلها.. كان في بيتنا قطبان في حرب باردة حتى تزوجت أختي بدرى ..بدرى

يأتي مساء طويل الأرق، أكوم أشياء وافتح أشياء فأجد (بذته) بعلاماتها العسكرية والشارات النحاسية على الأكمام، وعند الأكتاف رتبة العميد كانت تلمع؟! أنظر لأمي فتقول: (لازلت أطليها بالبرسو، لم يترك أبوك في حياتي مساحة حرية، سطا على كل الكراسي دون أن يشغل أحدها بجدارة!!)..

أتجنب عيونها الدامعة، تضع أمي الكاب القصبي العسكري في مكمنه.

سردٌ ثانٌ:

حملة نظافة على ترسينة غرفة النوم

كان الضعف الإنساني يملأ الجرائد، ففي صفحة الحوادث:

(طالبة مسيحية تتزوج عرفيا من مسلم، تحرر أمها المحضر رقم 11467 بقسم الساحل تتهم فيه الشاب بالتغرير بابنتها وتحريضها على الهروب! تحضر الابنة للقسم ومعها زوجها وتقر بأنها تزوجته عرفيا وأمها تعلم وتحرر المحضر 52 أحوال ضد أمها لعدم التعرض لها أو زوجها؟!..

داخل حمامات أحد مساجد حي (السيدة زينب) تم ضبط شاب مع فتاة شبه عرايا ويمارسان الجنس، وكانا مخمورين وحرر المحضر 13647 وحبستهما النيابة 4 أيام على ذمة الجنحة...

(إمام مسجد الصباح) يتقدم بالبلاغ رقم 330 إداري حلوان ضد زميله يتهمه بارتكاب أفعال مخلة بالآداب مع ممرضة تعمل بالعيادة الطبية التابعة للمسجد؟)

التقط الطعم الذى قادني للتفكير بحماقة نحو حملة نظافة لا تبقي ولا تذر للأوراق والصحف وكثير من الكتب في صباح اليوم الشتائي الذى لا يفلح مع صقيعه ومطره ترك البيت، فاستدعيت بهمة نفسى نحو عملية تنظيف لترسينة حجرة النوم (البلكونة) التي حولتها لمكتبة وقد غاصت في بحر من الصحف وجدت لابد من التخلص منه، حتى أتمكن من فتح الشيش الذى يفصلها عن حجرة النوم وحتى أعود للكتب التي غاصت في قاع الجرائد واختفت. قد يكون في اقتراح الأستاذ إبراهيم الحل؟!

دق الجرس.. فتحت، وجدتها

قالت : وداد يا باشا.. بعتنى الأفوكاتو إبراهيم.

كانت طويلة، في جلباب أسود مجسم على جسد عرسي لدن، بصدر مفتوح ينبئ عن تفاحتين ناضجتين، تضع على شعرها طرحة بلون الجلباب، بوجه ممصوص يتبين فيه ضب بالأسنان، لمن يطيل النظر، وقد قدرت أنها في العقد الثالث من العمر وفى يدها شنطة قديمة وضعت فيها أشياءها. أمسكت بالدفة من اللحظة الأولى قالت: فرِّجني الشقة، عشان أعرف منين نبدأ (مشوار النظافة)..

أنصاع وأتفقد معها المكان. وأشرح: (أنا أعيش فيما يشبه "الأستوديو" بتعبير الغرب، وهو كناية عن حجرة وحمام صغير، وما أن تفتح باب شقتي حتى تجد مطبخا صغيرا بالطريقة الأمريكاني، دسست فيه بعبقرية حادة ثلاجة إيديال، ومطبقية صحون، وأغلقت (بالالوميتال) تحت الحوض الصغير فيه، موفراً مكانا لخزين الشهر من الزيت والسكر، وخلافه، تم التحويط عليها برخامة ارتفعت على قوائم من الطوب، غطيت بالسراميك فبدا أكثر مواضع البيت ثراء). أطلقتْ ضحكة وكأنها تخطرنى بتواضع الثراء

واستمر (يوجد فاصل رخامي بين المطبخ والانتريه (الفورفرجيه) بدا مميزا، خاصة بعد جرأتي الأخيرة بشراء كرسيين (بار) مرتفع لزوم ما يلزم للرخامة المرتفعة الفاصلة التي كلفتني الكثير!!) قاطعتني مبتسمة: دول بيعملوها جرانيت ملون دلوقت يا سي الأستاذ.

دخلنا الحمام، فتصرفت بعفوية بأن أخذت الملابس المتسخة من مكمنها وبدأت تضعها في الغسالة الفول أوتوماتيك، وهى تصنفها لبيضاء وملونة، مرت بيداها بيسر على كُلتاتى "بوكسرز" فوجلت، ازداد الوضع تعقيدا، حين لاحظت لمعة عيوني، فضحكت قائلة: أوعى تخجل منى. ده أنت أخويا؟ ...!

تدخلت دون كلام لأشغل الغسالة، فأسرعت تسبقني لتشغيلها: عنك عرفاها زنوسى زي غسالة الأستاذ إبراهيم.

تركتها. وذهبت لحجرة النوم أقلّب الجرائد، فوجئت بحوار القاضي "هشام البسطويسي" في جريدة (المصري

اليوم) وهو يقول: التنظيم السرى لا يزال موجوداً بالقضاء، والدولة تمارس عملية إفساد للقضاة. تركت مصر لشعوري بتقييد حركتي وكلمتي، وضعوا لى (جهاز تنصت) ببيتي؟! وارسلوا لي سيدة معروفة (حالياً) لتستدرجني لخارج (نادى القضاة) وقت اعتصامنا وبعدها كانوا سيخطفونني ويصورونى عارياً بين أحضانها؟ ولذا تركت مصر. فقد قيدوا عليَّ حتى في لقمة عيشي، فمنعوني من التدريس في الدراسات القضائية، وقالوا لي مش عايز استقلال القضاء؟! يقول : (هناك 20% من القضاة تم إفسادهم وصاروا موالين لسلطة الدولة ويتم ذلك للأسف عن طريق وزير العدل! الذى سمح له القانون بالنقل والندب والتأديب، فالتنظيم الطليعي القديم بالقضاء لايزال موجودا حتى الآن، وقد نشأ في الماضي بفكرة وهَّاجة على أساس القضاء يعيش في برج عاجي، ولا يعرف توجهات الدولة الاقتصادية والاجتماعية، ولذا يجب الإلمام السياسي حتى تصدر أحكامه متوافقة مع سياسة الدولة، وعلى ذلك تم تجنيد بعض القضاة، على الرغم

من أن طبيعة القضاء البُعد (عن السياسة) ويضيف: بالإضافة للتفويض الممنوح لرؤساء المحاكم، من الجمعيات العمومية للقضاة، وعن طريق هذا التفويض (الباطل قانونا) يتم اختيار قاض معين لنظر قضية معينة، عندما يأمر الوزير! فالقضاة يستخدمون كورقة التوت لتغطية تزوير الانتخابات!

أقف مندهشاً أمام الضعف الإنساني: أيقول ذلك ويهرب من معركته ويقبل الندب للعمل بالكويت بقرار تفضل به عليه وزير العدل؟. ولكن من هذه (المُزَّة) التي أرسلوها للقاضي لتنام معه عارية؟ ألوم نفسى وأضرب أخماسا في أسداس على قبولي عرض إبراهيم المهبب!

جاءت خلفي بعد قليل تحمل صينية عليها فنجان قهوة وكوب ماء مثلج، وهى تقول: قهوة مضبوطة.

أندهش، تارة لجرأتها وتارة لشطارتها، كيف عرفت أماكن الأشياء وكيف تتحرك في الشقة وكأنها تعرفها من وقت طويل..

جلست متربعة على سجادة الغرفة وشدت للحديث خيوط، قالت: طول الحزن يعلم البُكا.. أنا بأشتغل في البيوت يطلع من عشر سنين، طبخت للبيه، ودلكت الهانم، ودللت العيال، والله ده أنا رضعت بيبى مدام عنايات. شقتك ساعة زمن وتبقى فله.. مش هي 90 متر برضو؟ أكيد حتغيرها لما تتجوز!

حاولنا معا فتح الشيش، بصعوبة استطاعت الانزلاق بجانبها من الجزء الذى فتح في الشيش الفاصل بين حجرة النوم والبلكونة ودلفت لداخل الترسينة ونجحت في فتح الشيش من الداخل، وجدت رواية "ذات" لصنع الله إبراهيم وقد طفا نصفها فوق بحر الصحف الفوضوي. كان الروائي قد دفأ روايته بكمية من الجرائد؟! أدخلها بطريقة ما داخل النص "المتن"- يبدو أنه كان يعانى من نفس مشكلتي: حملة

نظافة تحولت لرواية - وها هي حملتي تحولت لحملة تفتيش بوليسية بالبحث بين أوراق الصحف الصفراء!؟

بالجرائد القديمة سنوات 2007 و2006م: شتائم مصطفى الفقي في مطار القاهرة لرفضة دفع قيمة وزن زيادة ل21 حقيبة كانت مع ابنته وأطفالها الثلاثة قبل سفرهم لأمريكا؟! وعن المذيع (عبده عباس) الذى فضح "سهير الإتربي" بأنها كانت تحصل على مجوهرات وهدايا من المطربات العرب ليظهرن في ليالي التليفزيون، و(عبير صبري) التي قلعت حجابها. وإبراهيم عيسى يكتب عن: لماذا يعتقد المسؤولون أن مصر عزبة أبيهم؟! وريبورتاج عن "القفا بجريدة صوت الأمة": القفا الكبير ذكي، والقفا المتوسط منطقي، والقفا الملظلظ سريع الغضب، وأخبار عن ضياع القمر الصناعي المصري (إيجيبت سات1 بالفضاء) وفشل الاتصال به وضياعه. وموضوع عن النكت السياسية عنوانه: هل يسمع الرئيس مبارك نكت المصريين؟ من هذه النكت أن رئيس "دولة فيحان" وجد مصباح علاء الدين ولما

دعكه خرج له ابنه فسأله ماذا تفعل هنا؟ فقال له شاركت العفريب؟!"...

وافق هواي قوله لـ (معاوية بن أبى سفيان) في المعارضة ضده: (إنَّا لا نحول بين الناس وبين ألسنتهم، ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا؟!) وجدته في كتاب "المعارضة" نشر 1988 ديمقراطية (الدولة الأموية) التي تسير عليها السلطة في العالم؟! لقد نسوا نصيحة قديمة، جاءت في كتاب أرسطوطاليس للإسكندر(اعلم أن الرعية إذا قدرت على أن تقول، قدرت على أن تفعل، فاجهد ألا تقول تسلم من أن تفعل).. في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في (أمر الحكم) بالصفحات الدينية لجرائدنا ـ قوله: "ستحرصون على الإمارة ثم تكون حسرة وندامة يوم القيامة"، فقال رجل بالمجلس: بئس الشيء الإمارة، فنهاه الرسول وقال :"نعم الشيء الإمارة لمن أخذها بحقها وحلها".. فما هو حقها وحلها؟!

أهو ما يسمى في السياسة "بشرعية السلطة". وقد ناقشها معاوية بن أبى سفيان ذات يوم مع بنى هاشم فقال: "بم تكون الخلافة؟ أتكون بالاجتماع عليكم من الناس، أم بقرابتكم للرسول، أم بهما معاً؟ فإن كانت باجتماع الناس فلا تكون القرابة أثبتت حقاً ولا أسست ملكا، وأن كانت بالقرابة فما منع العباس عم الرسول من طلبها؟! فالخلافة لمن بسط الناس أيديهم إليه بالبيعة، فانه لا ينفعكم أن تروا لأنفسكم ما لا يراه الناس لكم؟!"..

أهي قولة حق يراد بها باطل؟! ففي كل عصر، وأوان، زورت عيون الناس فلم ترَ إلا ما يرى الحكام؟!هكذا قال (جان بودان) الفرنسي و(مكيافيلى) الإيطالي بكتابه: (الأمير) من إنكار فكرة معارضة الحاكم والدعوى لوجود حاكم قوى له السيادة والسلطة المطلقة، بل هو الذى يضع القوانين؟!

الحيرة بدت على وداد، فاندفعت تكلمني في حدة:

يا أستاذ.. اتفضل أنت، وسيبنى أرمي الورق ده وأمسح الترسينة وبعدين اقعد على مكتبك فيها.. دى وسخة وزايطة خالص....

لم أرد، فقد عَّن لي معنى وردَ بكتاب: (لأحمد بهاء الدين) عن معنى [شرعية السلطة] تصفحته بعد أن برز لي الكتاب من كومة صحف صفراء اللون، فعل بها ثاني أكسيد الكربون الأفاعيل. وأكل غلافها وخلع أوراقها من التغليف- وكأن الترسينة تحمى ما فيها وتقول لي لا شيء قابل للإخلاء- فيقسم الكاتب الشرعية لنصفين: (القانونية) أو الجانب الشكلي للحكم ويشمل: الانتخابات، والتصويت، والقوانين،.. و(المشروعية) وهى اقتناع الشعب بأحقية السلطة وجدارتها، ويعتبره جوهر الشرعية ومغزاها، ولا تغني عنها كل أشكال السطوة، والرهبة، والنفوذ. حتى ولو أحاطت نفسها بعشرات الدساتير والقوانين. ويقول إنه وصل لذلك من "دافيد ايترن" في معنى قوله: (قد يقبل المواطن بسلطة الحكم لألف سبب، ولكن كمال الشرعية لهذا الحكم

هي أن يجد المحكوم أن من المقبول عنده، والمناسب له أن يطيع متطلبات النظام السياسي القائم، إذ يجد أنها تتسق مع قيمه ومبادئه، وأخلاقياته وأمانيه. ليس لمنفعة شخصية مباشرة له ولكن للمصلحة العامة على طول المدى)

يقع في يدى مشهد من مسرحية ممزقة (لتوفيق الحكيم) لم أصل لاسمها في نفس المعنى (حيث يهرب ساحر من سجنه، ويضع مسحوقا للجنون في نهر يشرب منه شعب الملك الحكيم الذى سجنه، فيتحول شعب الملك إلى مجانين، وهنا يجد الملك الحكيم أنه من الحكمة أن يشرب من نهر الجنون ليحكم المجانين؟)

بالجرائد 2004 (قنبلة (جيهان السادات؟!): أوافق على الإفراج عن (عبود الزمر) وكل قتلة السادات!! فالقانون وليس الثأر يحكم الجميع، وطالما أن المتهم قضى مدة العقوبة، فيجب الإفراج الفوري عنه؟!

بجريدة عربية عن خطاب القذافي في القمة العربية ال20 بدمشق (حماس وفتح خطان متوازيان لا يلتقيان. لأنهما أيديولوجياً مختلفان وما حصلنا عليه هو فلسطين قبل 67: الضفة وغزة، وليس فلسطين قبل 48 وقد حصلنا عليهما وفيهما اليهود وبشروط اليهود أيضا؟ فأين إقليم الدولة وأين شعبها، و3 مليون فلسطيني خارجها، ولا يملكون حق العودة، ولا أحد يأخذ رأيهم في شيء؟ وإسرائيل (أرض 48) عندها مليون فلسطيني بهوية إسرائيلية ولا أعتقد أننا نحن العرب نخسر، إذا قامت دولة واحدة بينهما؟!غير ذلك فلنتخذ الآن قرار الحرب؟! ولكن العائلات العربية الحاكمة في الخليج تقول: إيران! يقولون ذلك والخليج 80% من سكانه إيرانيون؟!هل أنتم أصدقاء أمريكا - بلاش نقول أنتم؟! كلنا أصدقاء أمريكا، أتستبعدون أن توافق أمريكا على شنقنا في يوم ما؟ !)

في مانشيت جريدة 2008: (شعب مصر المتدين يشرب بيرة ب 1.5 مليار جنيه سنويا؟!

(أبو العلا ماضي) :حزب الوسط نتاج تمرد داخل الإخوان المسلمين ولكننا في الأصل من طليعة الجماعات الإسلامية (وهى غير الجماعات الإسلامية التي تحولت لتنظيم مسلح عام 1980) وقد انضممنا للإخوان على يد الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح عام 1979م بحثاً عن البديل السلمى للعمل، والمرشد (مهدى عاكف) يتهم (أبو العلا ماضي) بالكذب فى حديثه عن الإخوان) كنت اعتقد أن أبو العلا ماضي من أعضاء كفاية المهمين.

بدون مقدمات وجدتها على السرير، وقد خلعت جلبابها وطرحتها فانسدل شعرها (الأسود الطويل) وظهر وركيها وقد خرجا من خلال قميص نوم أزرق في غنج رمانتيها يترجرجان بدون مشد صدر في نضوج.

قالت: أنا برضوا قلت إنك مش جايبنى للتنضيف.. ده أنت حتى معندكش مكنسة ولا فينيك؟!

انزعجت ونظرت لها شذرا وقد ركبني 100 عفريب، خافت وقامت مذعورة بحالها، امرأه من ديوان شعر غجري؟ صلصال ساخن تبحث عمن يدغدغ سخونتها بمكعبات ثلج الرغبة ويشكلها بالشهوة.

قالت: طيب أنظّف المطبخ والفسحة والحمام

قلت: البسي هدومك وأخرجي بره.

(2)

الربيع آتى في شتاء يناير؟ !

القاهرة –2011

جاء الأستاذ "داود مهران" صاحب مكتب المحاماة وعنَّفني وهو يدس في يدى إعلان المحكمة للحضور في قضية "رواية الأستاذ جبران.."

يقول: لو كنت جريت بعينك على الورقتين في الرواية لوجدت أن د. جيهان رجعت فيهما ل3 مراجع، لو فكرتم، ورجعتم لأصل كتاب د. جيهان لوجدتم أنها كتبته بالطريقة الفرنسية وفى كل فصل ما لا يقل عن 5،6 مراجع. المحاماة ليست رص لمواد القانون التي يعلمها القاضي بالضرورة، هي فن المنطق ومخاطبة العقول.. ومبارزة الخصم على إقناع القاضي.. ساميه كان معاها خطوط القضية وسلمتها نسخة من الرواية، لماذا ذهبت أنت؟! لقد ناقشت معها

الموضوع وحكينا عن معركة رشدي صالح ضد توفيق الحكيم[1].

يتصل بالتليفون: أستاذ خليل.. ايه أخبار النشر؟ مبروك يا سيدى أخرجنا الدار من القضية.. التفاصيل القضية ما شيه بالنسبة للأستاذ جبران وحده؟! تحب نستمر؟ لا.. معاك حق دورنا انتهى. عايز (أحمد مراد) تحلِّي له بقه.. ابعتهولك وربنا ما يحرمناش.

[1] حين اتهم رشدي صالح الحكيم بأنه سرق كثيراً من أعماله من نصوص (أوروبية)خصوصاً: "حماري قال لي" و"حمار الحكيم" المسروقين عن الأديب الاسباني خمينيز. وكيف تفجّرت القضية على صفحات جريدة "الجمهورية" وشارك فيها معظم كتاب مصر في ذلك الحين. وكتب النقاش نفسه في يوميات جريدة "الأخبار" مبرئاً الحكيم من سرقة خمينيز. أما الحكيم فأثرت عليه الاتهامات بشكل عنيف ووصل إلى حالة نفسية بالغة السوء، لأنه شعر بأن مجده الأدبي الكبير ينهار أمام ضربات الناقد رشدي صالح. وفي أجواء هذه المعركة دخلت السياسة على الخط، وفوجئ الجميع ذات صباح بالرئيس عبد الناصر يمنح الحكيم قلادة النيل، وهي أعلى وسام في الدولة لا يمنح إلا لرؤساء الدول. ولم ينلها قبل أو بعد ذلك سوى نجيب محفوظ عندما حصل على جائزة نوبل سنة 1988...أما رشدي صالح، فوجد نفسه من بين المعتقلين ليلة رأس سنة 1959؟! كان عبد الناصر وقف قبل تلك الحادثة إلى جانب الحكيم، حين تعرض للفصل من عمله مديراً لـ "دار الكتب" سنة 1953، بقرار من وزير المعارف الدكتور إسماعيل القباني. وطرح الموضوع في مجلس الوزراء الذي كان يرأسه عبد الناصر، إذ سأل وزيره مباشرة لماذا فصلت الحكيم؟ فرد القباني أن الحكيم موظف لا يؤدي عمله بصورة سليمة، ما دفعه إلى وضع اسمه في "قوائم التطهير". لكن عبد الناصر أعاد الحكيم إلى عمله وأخرج القباني من التشكيلة الوزارية. فقائد الثورة كان من قرّاء الحكيم، طالع رواياته وأعجب بها. بل أن رواية "عودة الروح" ألهمت عبد الناصر بنزعتها الوطنية وطرحها فكرة "الزعيم" الذي يخرج من صفوف الشعب، ويقوده.

ينظر لي شذرا ويندفع في غضب ككلاشنكوف يفرغ رصاصه: ما ينفعنيش الشغل ده يا سي مراد.. سمعة المكتب تتسرسب وتضيع قضيه وراء أخرى.

أقول: يا أستاذ القضية لم تبدأ بعد؟

يقول: القضية بدأت بجلسة التحضير وكان يمكن كسبها والانتهاء برفض الدعوى.. شغل الموظفين ما ينفعش في المحاماة، مخصوم منك يومين.. وعدِّي في نهاية اليوم على دار "كتابات جديدة".. خليل الغمري عايزك...

تبادلت وسامية طعن الكلمات، فللعشم سيف يشبه سيف الياباني "الساموراي" قانونه اقتسام الضربة القاتلة بين القاتل والقتيل، اقتسمنا بقسوة ضربة السيف ونزفنا، أعطتني ظهرها فانصرفت! وأُغلق الخط بيننا لمدة...

لم يوفِ خليل الغمري بوعده "بتحليه بقى"، وإنما عرض على أن أكون (المنظم لحفلات التوقيع) للإصدارات الجديدة لأنه يراها تتم (جهجهون).عند انصرافي تقدمت منى

في خجل كاتبة شابة جميلة وأهدتني روايتها. وسحبت حديثاً عن عملي بالمحاماة وعندما قلت لها: أي خدمة؟ قدمت قرار اتهام من النيابة العسكرية لأمين شرطة، وقالت: إنه أخي! ضحكت عند مطالعته، فقدمت النيابة أخاها بتهمة التعرض لأنثى على وجه يخدش الحياء "قولا" بنص: م306 مكرر أمن قانون العقوبات بأنه حال وجوده بخدمته "مباحث" سياحة بفندق شبرد تعرض لسائحة تركية تُدعى (نيسا برزمج) بأن تلفظ بكلمة:[سكسى] لها ..

وتحمست بغل للقضية قائلاً لها: إنهم بذلك يحاكمون أمير الشعراء "احمد شوقي" فهو القائل: نظرة فابتسامة.. فكلام.. فموعد.. فلقاء..

سألتني: هو أنت الكاتب....فعرفتها بأني محامى دار نشر "كتابات جديدة" وأنه تشابه أسماء و.. وسألت نفسي من: أحمد مراد الآخر؟

عند رجوعي، كان ثمة مظاهرة منتظمة بوسط البلد قد بلغها خبر فرار "بن على" من تونس. هل يمكن أن نتصور هروب الرئيس لمجرد تجمع لثلاثين ألف شخص في مظاهرة سلمية؟! أم أن هناك أسرار أخرى لعبت دوراً لإجباره على الفرار بجلده للسعودية؟ خرجت المظاهرة فرحة، كانت توزع بيان "عقبالكم" فيه أسماء عدد كبير من وزراء ومسئولين مصريين في حكومة الرئيس مبارك تتمنى لهم نفس المصير؟!

حتى الأن لا أصدق أن مصادرة عربة فاكهة للشاب البوعزيزى وإضرام الشاب النار في جسده، تشعل ثورة؟! أم أن النظريات التي تخيلتها سقطت، بأن الثورات الشعبية قد فات زمانها؟! لأن اختراع الدبابات والمدافع قد قلب موازين القوى بين الجماهير السلمية والسلطة الحاكمة، وقد تصورنا في منطقتنا العربية أن أي ثورة لا تنجح إلا إذا كانت الجيوش بمدافعها المنصوبة - طليعة لزحفها - هكذا على الأقل كانت أهم الثورات: ثورة ناصر - 1952؟!

لقد قال "بن على" عبارة فيها السر: الآن فهمت؟! فهل ما فهمه هو تحييد جيشة بشكل ما - لا له ولا عليه - أم أن للجيوش مأرب أخرى؟! لقد حاول الرجل تهدئة الغاضبين بزيارة البوعزيزي بالمشفى وأطلق حزمة تعهدات بإصلاح الحال وأقال وزير داخليته "رفيق بلحاج" عند سقوط 21 قتيلا ولعب بالكارت الأخير؟ أعلن عدم ترشحه بانتخابات 2014م واستعداده لحكومة وطنية، فهل كل الأسباب بدت ملفقة للتوانسة؟! تماما كرجل يطلب من فتاة جميلة رقم هاتفها كل أسبابه ملفقة؟ !

تأخذني المظاهرة في أمواجها، قوة عنفوانها تضعني في داخلها. أرى فتاة من ظهرها كانت ترتدى تى شيرت أسود، مطبوع عليه قبضة يد مضمومة الأصابع "باللون الأبيض" وقد أدخلته في بنطلون رمادي صيفي، حين حاولت قراءة المكتوب والتركيز على فحوى المكتوب تحت طبعة القبضة، وقعت عيناي على ردفين قد تكورتا، خلف نسيج البنطال. كنت على بضع خطوات من مؤخرتها بحكم تلاحم

المظاهرة، الردفان يتلاطمان ويرتعشان مع حماسها الثائر، الوصف الصحيح لهما ما كتبه "نجيب محفوظ" في رواية بين القصرين: يالها من عجيزة سلطانية جمعت بين العجرفة واللطف يكاد البائس مثلى يحس بطراوتها وشدتها معا بالنظر المجرد.

فيبدو لي وقوعي عن غير قصد في إشكالية "أشرف عبد العزيز" بطل رواية - شرف - لصنع الله إبراهيم... فهل يمكن السير في مظاهرة دون النظر لأرداف من أمامك من البنات[2]) عندما تجد نفسك دون قصد أو إرادة، أمام فلقتين يقطران عسلا وغواية، بحيث تكون أي حركة ولو بسيطة تضعك فوق خط المماس مباشرة، وبرغم تشجيع الكاتب

---

[2] اكتسبت مجموعة "فايسبوك" زخمًا وتحولت إلى حركة سياسية عُرفت باسم "حركة شباب 6 أبريل". سخّر منظمو الحركة أدوات التشبيك على الإنترنت على نطاق واسع ليحضوا الأنصار على إظهار دعمهم للعمال من خلال لبس اللون الأسود وملازمة المنزل ومقاطعة المنتجات يوم الإضراب. ومنذ ذلك الحين، نظمت المجموعة تظاهرات أخرى منها للتضامن مع غزة ولدعم الصحافيين والمدونين المحتجزين وراء القضبان. في العام 2009، كان الأعضاء معظمهم من المتعلّمين ولا ينتمون إلى أي طرف سياسي. ولا تُعتَبَر حركة شباب 6 أبريل حزبًا سياسيًا رسميًا. اعتدت قوى الأمن على عدد من قادة الحركة وأعضائها واضطهدتهم، وأدت حملة القمع القاسية إلى الحدّ من زخم حركة 6 أبريل. كما كانت ذكرى الإضراب في 2009 و2010 مضرجة بالدماء عندما تدخلت الشرطة لتفريق المتظاهرين. سخرت وسائل الإعلام على الإنترنت والشبكات الاجتماعية بمهارة، إلا أن النظام قوّض ميزتها التكنولوجية من خلال الحملات الإعلامية والاستراتيجيات الإعلامية الأخرى في يوليو 2010، أعلنت حركة شباب 6 أبريل إطلاق حملة جديدة ضد الحزب الوطني الديمقراطي تحت شعار "مصر أرضنا وليست أرضهم". تهدف الحملة إلى نشر الوعي السياسي مع التركيز على فئة الشباب.

لبطله في الرواية على أن يندفع للأمام لأنه في السن التي تفور فيها الدماء؟! "ولأن المرأة قد آتت الحركة المطلوبة والتي وضعتها في مرمى الخطر، سواء عن قصر نظر منها أم كان لها مآرب أخرى، أمام الواجهة الزجاجية المضاءة لمحل ملابس رياضية فقد أخذت وضع الركوع وهى تدقق النظر للأحذية الرياضية بالمحل. "ولكن رد فعل بطل الرواية جاء على عكس ما توقع الكاتب: تراجع للخلف بدلا من الاندفاع للأمام!!)

ولكن لأنى كنت مثقلا بمجموعة من المحرمات التي تقيد الفعل تراجعت للخلف بدلا من الاندفاع للأمام، تماماً مثل بطل صنع الله إبراهيم - مما عرضني لأكثر من دفعة واحتكاك - كيف تعبر ممالك المتعة وقد سلبك الرعب جواز المرور؟ عليك أن تعيش بإثم الشهوات غير المحققة!

أنا احسد "ورّاق[3]" خليل صويلح الذى حسم أمره مع "لمياء" سريعا حينما أثارته مؤخرتها المحشورة بسروال جينز ضيق؟ فأطبق فمه على شفتيها وألقى بها على كنبة قديمة، وأهمس لنفسي: يبدو أنى استفدت من كرم خليل الغمري الذى كان يغدق علينا بروايات دار النشر تبعه.

[3] وراق الحب" رواية ذكية قصيرة طبعت عام 2002 للصحفي السوري خليل صويلح يبدأ نصّه باعتراف صريح بأنه يكتب رواية تختزل الروايات التي قرأها طوال ثلاثين سنة ويعترف بأنه ينتحل (يسرق) من روايات الآخرين بعين جسورة لا مكسورة! يمرّ على معلّمي الكتابة والحكي والرواية والسرد عبر العصور منتحلاً من هذا ومقتبساً من ذاك ومقتطفاً من الثالث متكئًا على الرابع ويقول دون أن يطرف له جفن إنّه كان على وشك انتحال 130 صفحة من رواية بريد (بابلونيرودوا) اكتفي بثلاث صفحات. تمضي الرواية ذات الـ112 صفحة على هذا النحو من القصّ واللصق لمقاطع وصفحات طويلة كاملة من روايات الآخرين وتنتهي الرواية ببساطة شديدة باندساس الراوي في سرير الطالبة الجامعية ،التي يوهم القارئ بأنها غريرة بلا تجربة، ثم يوهمه بالعكس أيضاً، ثم يمحوها مقرّاً بأنها كانت محض انتحال مع ذلك يرسلها إلى ضيعتها لينفرد بزميلتها في السكن التي أدخلها لعمله مصادفة، ونسي أن ينكحها داخل السياق، وباستدراك هذه الهفوة تكتمل أحداث الرواية.

قمنا بثورة ؟! كيف ؟..ولماذا!

(فلما كانت الليلة الخامسة والعشرين قالت شهرزاد للملك شهريار: بلغني أيها الملك السعيد ذو العقل الرشيد أن بنت السلطان أمسكت سكينا عليها أسماء عبرية ورسمت بها دائرة على الأرض. فأظلمت الدنيا. واهتز القصر، وظهر عفريت انقلب أسدا؟! وقال لها: يا خائنة ألم نتحالف معا على ألا يتعرض أحدنا للآخر؟ فقالت بنت السلطان: وهل مثلك من يصون العهد ويفي بالوعد؟ ثم نزعت شعرة من رأسها تحولت إلى سيف وقطعت رقبته. حكت شهرزاد: أن العفريت لم يمت بقطع رقبته.. قالت: "تحولت رقبة الأسد المقطوعة إلى عقرب، وانقلبت بنت السلطان إلى حية. ودارت معركة بينهما. وانقلب العقرب لصقر، وتحولت الحية إلى نسر، فقبل النهاية تأتى معركة جديدة، وقبل الحسم نفاجأ بالتحول والانقلاب؟..)

ميدان التحرير كان مكانا لأول مظاهرة في 1919، مظاهرة نسائية قادتها هدى شعراوي ونساء أكثرهن من

"نساء الوفد" وتغير بعدها اسم الميدان من "ميدان الإسماعيلية" إلى "ميدان التحرير". كانت المظاهرة ضد الإنجليز، فلماذا اعتبرت الحركة النسائية الأمر ضد الرجل؟

لم يكن أحد في مصر يتوقع أن تبدأ بشائر الزلزال، حتى الذين صنعوه!

أتابع الحشود التي تحاول دخول الميدان - من كل اتجاهاته وأراقب جنود الأمن المركزي المتحصنين وراء دروعهم يحاولون أن يضبطوا أنفسهم، والمتظاهرين يهتفون "سلمية/ سلمية". كنت أراقب "نقاط التماس" وقرأت الصورة:

من وجهة نظر الأمن هي فورة غضب وستنتهي (لأن مصر ليست تونس!) لذلك كلما حافظوا على الأرواح ساهموا في انقضاء اليوم على خير ليعود الغاضبون إلى بيوتهم وتنجح مهمتهم.

أما الناشطون فقد فوجئوا بأعداد البسطاء الذين تركوا طوابير الخبز وانضموا لهم، ولون الغضب الذي يكسو الوجوه السمراء.. ولم تكن لديهم خطة سوى النموذج التونسي، نموذج: "ارحل" و"الشعب يريد"!

بعد انتصاف الليل دخل الخطأ الأول على مكونات الصورة، فانقضَّت قوات الأمن على المجموعات التي ما تزال ساهرة في الميدان تفكر في الخطوة التالية، وأجبرتهم على مغادرته بالعنف مستخدمة وسائلها القمعية، ربما كان في ذهن الأمن أن العاطفة التي حرَّكت الناس في الشوارع تم تفريغها عبر الهتاف طوال النهار وأنهم لن يعودوا مرة أخرى.

وقتها كنت أترقب، أن الشباب تراجعوا تراجعًا تكتيكيًّا، للعودة للميدان مرة أخرى محملين بجراحهم التي تراكمت عبر سنوات، المفاجأة أن ذلك قد حدث بالفعل، فلم ينصرفوا؟ إنها الثورة إذن؟ كانت مظاهر البدايات مروعة ومرتبكة (قطع خدمات الأنترنت، متظاهرو التحرير يستعدون

لاعتصام طويل ويحذرون من حملة اعتقالات، القبض على 500 إخواني (ومرسى والعريان والكتاتنى أبرز المعتقلين)،الوفد يطالب مبارك بالتخلي عن الحزب الوطني وتشكيل حكومة انتقالية، 10 آلاف في الزقازيق يحتجون بالنوم على الأسفلت، عزل السويس بعد سيطرة المتظاهرين على الشوارع، الإخوان و6 أبريل تقودان مظاهرات الدقهلية)

يطلق البوليس عبوات الغاز المسيل للدموع، فأتذكر أول مظاهرة طلابية ضد عبد الناصر، حين خرج الطلبة ضد أحكام الطيران الهزيلة بعد النكسة 1968، في هذه المظاهرات وعند بلوغها التجمع في "التحرير" لم يكن مع قوات الأمن إلا الهراوات.. وكان الضباط يركبون الخيل وشعر النظام بالخوف، لم يكن بمصر وقتها أحزاب وإنما حزب واحد لتحالف قوى الشعب، كانت الفلسفة التي روج لها هيكل وقتها: "أن الذى يحمى الديمقراطية هو أن يصل للسلطة وطنيون حقيقيون - لا أن نخلق تعددا في المنابر

داخل الحزب الواحد أو أن نسمح بالأحزاب" فالحزب في حقيقته كما قالوا لنا (طليعة سياسية لطبقة اقتصادية أو اجتماعية ولا يمكن أن يكون شيئا آخر) وبالتالي فالحزب الواحد تأمين للصراع الطبقي، فلا تتفاوت الفوارق لدرجة القطيعة، فلا يجتمع على الهدف الواحد إلا أصحاب المصلحة الواحدة؟ وقتها شرعية المعارضة كانت غائبة؟!

وأمر بعدها ناصر بأن يكون للطلبة جريدة - جريدة الطلاب - تعبر عنهم ووعد أن يعي الانتباه لما فيها. ولكن بعدها أومأ النظام "لشعراوي جمعة" أن اصنع الأمن المركزي؟! فما كتبه الطلبة بالجريدة كانت أمور لا يفهمها أهل الحكم؟!

موجة من الحشد تتقدم، فتكسر الخط المنتشر من جنود الأمن المركزي الخط المانع لتقدم المظاهرة، رغم إصرار الجنود وقسوة هراواتهم، ولكن المظاهرة يقابلها خط آخر مزدوج من الجنود يأخذ شكل رأس الرمح يحاول أن يخترق الحشد من وسطه ويطيح به إلى جانبي الطريق، وقد جاء من

خلفة خط منتشر أخر من الجنود، يريد أن يرجع المظاهرة إلى النقطة التي تخطتها، ولما بدا الأمر مستحيلاً، فالحشد بلا نهاية متظاهرون وراء متظاهرين، فاجأ الأمن الحشد بمدرعة مسرعة تنطلق في وسط الحشد تمرق وتنفس الغاز بكثافة، يتراجع الحشد ذعراً، يسقط أحدنا بلا حراك، كيف حدث ذلك؟ أنموت؟!

لقد وقعت أيام السادات أحداث 1977 ولم يمت أحد؟ رفعت أسعار السلع، فشعر الشعب بالفقر ـ والسادات يعدهم الرغدة، ولما كان الإسلاميون مع السادات وقتها أعتقد النظام أن الشيوعيين يقودون الانتفاضة بغطاء إسلامي كاذب؟ وإن كنا عرفنا بعدها التيار اليساري الإسلامي؟

طبقا لسجلات الصحة وقتها ورغم نزول الجيش فيما بعد! كانت: الإصابات 40 عسكري شرطة، و20 ضابط شرطة و33 مدنيا من المتظاهرين، لم يمت أحد. في ذلك الوقت أدار د/ أحمد كمال أبو المجد حوارًا حضاريًا ـ مع الطلاب من نفس المبنى الذى أخذه الحزب الوطني من

ناصر؟ شيء غريب لا يزال الرجل وسيطاً ناجحاً لكل نظام؟!

الأن يحرقوا نفس المبنى الذى أخذه الحزب الوطني من ناصر واستمر به مبارك؟! نتبين الأمر بعد تشتت ضباب الغاز، كان الرجل يتحرك، الحمد لله قالتها (سامية) وهى منهارة في البكاء، جاء من يأخذه خارج الميدان، كانوا يقولون له: أضحك يا رجل، فالموت يمازحك مادام يخطئك ليصيب غيرك؟! .. سألنا أهناك موتى؟ فقيل لنا: وقع شهداء بالسويس؟!

أصاب سامية صليب دوخة بفعل الغاز فهربت بها من التحرير.. اتجهنا إلى الممر الملاصق لسينما قصر النيل. كانت غير قادرة على الوقوف، حملتها معي فتاة واتجهت بنا لعمارة لصيقة، وجدت حالات مثلها بدار (ميريت للنشر) وأطباء شباب يقومون بالإسعافات الأولية..؟!

(3)

القضاء العسكري.. - إيطاليا – نابولي – 2000

اقتضت طبيعة القوات المسلحة بأن يكون لها نظام خاص يشمل جميع جوانب الحياة العسكرية، وقد فطن لذلك كثير من المجتمعات القديمة، وكان أول من عرف القانون العسكري الرومان، فعرفوا قانون عسكرياً إلى جانب قانون العقوبات العام، وكانت الجرائم الرئيسية في ذلك القانون العسكري من النوع الذي عرف فيما بعد بالجرائم العسكرية البحتة كالهروب من الخدمة أو الهروب من الجيش عموماً، وكانت العقوبات في القانون الروماني العسكري لها الطابع التأديبي أو المعنوي كالتنزيل في الرتبة أو النقل إلى مكان تعتبر الخدمة فيه مرهقة أو تغيير السلاح إلى مرتبة أدنى في الشرف العسكري.

وفي العصور الوسطى، أصدر فردريك الأول عام 1156 ميلاديا قانونا عسكريا رومانيا أكثر دقة تضمن

عقوبات جنائية وقواعد إجرائية تتعلق بالمحاكمة والتحقيق. وقد تأثرت الدول المختلفة بهذا الاتجاه، فأصدرت عدة قوانين عسكرية، وكان أهم هذه القوانين تنظيماً عند الحرب العالمية الثانية القانون العسكري الألماني الذي أعطى القائد العسكري المباشر سلطات واسعة لم تكن له في القوانين الرومانية.

وإذا نظرنا إلى الوضع في مصر، سنجد أن أول قانون للعقوبات العسكرية كان عام 1893 ولم يسبقه في المنطقة العربية في هذا النطاق إلا القانون العسكري العراقي فقد كان معروفاً منذ عام 1799. وقد طرأ على القانون العسكري المصري عدة تعديلات عام 1917 وعام 1993 وعام 1957 وكان حتى هذا الوقت يصدر قرارات وأحكاما من مجالس عسكرية لها الطابع التأديبي حتى صدر القانون رقم 25 لسنة 66 العسكري الحالي. وقد كان بالنسبة لسابقه من قوانين أكثر دقة وتوضيحا.

وقد صاحب صدور القانون العسكري الحالي تعارض في وجهات النظر حول الطبيعة القانونية له، ورأى البعض

أنه قانون تأديبي شأنه شأن سابقيه، وذلك لوجود نوع من أنواع العقوبات التأديبية به مثل الرفت أو الطرد من الخدمة أو تنزيل الرتبة، إلا أن هذا الرأي أصبح الآن مجروحاً، فجمهور الفقهاء يرى أن القضاء العسكري هو قضاء جنائي متخصص وأن قانون الأحكام العسكرية هو قانون جنائي خاص وأن العقوبات الواردة فيه هي عقوبات جنائية.

ظللتُ مدة لا أفهم ولا أتحمس لخضوع المدنيين للقضاء العسكري، ولكن نحن نكره ما لا نعرف والحقيقة أن المحاكم العسكرية لا تدرس في كليات الحقوق، ولا في الدراسات العليا، ولكن يخضع الأمر لاجتهاد المحامي تارة وأحيانا عند الدراسة بالخارج، ولذا فمعظم المحامين عندنا في هذا التخصص من ضباط الجيش السابقين ومحاميّ الإخوان[4]

[4] جمعية الإخوان المسلمين، المعروفة أكثر باسم "الإخوان المسلمون"، هي تنظيم إسلامي تأسس في مصر على يد حسن البنّا في العام 1928 بسبب حاجة كانت متصورة إلى نهضة إسلامية. طوال عقد الثلاثينيات من القرن الماضي، بسبب إلغاء "أتاتورك" للخلافة في تركيا والدعوى لمجتمع غربي "علماني".. تطوّرت الفكرة إلى حركة تضمّ أبناء الطبقتين الدنيا والمتوسطة وتوجهت بالإسلام بوصفه أساساً للإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي، بفكره جوهرية بأن الإسلام دين ودولة، شريعة وعقيده. لعب الإخوان المسلمون دوراً مسانداً في ثورة العام 1952، ولكن العلاقات التي كانت وديّة في البداية بين حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمين توتّرت بسرعة. وبعد محاولة اغتيال الجهاز السرّي جمال عبد الناصر في العام 1954، تم حلّ التنظيم رسمياً، وإحراق مقرّه، وألقي القبض على الآلاف من أعضائه، عندما بدأ أنور السادات فتح النظام السياسي في العام 1971، استغلّ الإخوان الفرصة لإعادة تنظيم صفوفهم.

الذين كانوا زبائن دائمين لهذا القضاء حتى وقفت بالعلم على معايير ذلك ووجدتها معقولة.

أولاً: معيار وظيفي: المدنيون الملحقون بالعسكريين: اهتم المشرع بطبيعة وظيفة أو عمل بعض الأشخاص ومدى اتصالها بوظيفة القوات المسلحة، ولذلك فقد أخضع لقانون

وخلال هذه الفترة، بدأت الحكومة إطلاق سراح السجناء من أعضاء التنظيم تدريجياً. وعلى الرغم من أن جماعة الإخوان ظلت غير قانونية، فقد سمح لها السادات باستئناف إصدار صحيفة "الدعوة" في العام 1976. في هذا الوقت أصبحت الجماعات الطلابية الإسلامية أكثر انتشاراً في الجامعات ونبذت جماعة الإخوان العنف رسمياً ونأت بنفسها عن الجماعات الإسلامية الأكثر تشدّداً مثل الجماعة الإسلامية، بدأت جماعة الإخوان خوض الانتخابات البرلمانية في العام 1979 حيث بدأ أعضاؤها باكتساب وعي سياسي زائد من خلال تفاعلهم مع النقابات المهنية والطلابية. وقد اعتمدت الجماعة عموماً استراتيجية سياسية براغماتية تقلّص من المواجهة مع النظام. في الانتخابات، تنقص الجماعة مرشحيها إلى عدد متواضع وتحجم عن دعم مبادرات المعارضة الجريئة التي قد يرى فيها النظام تهديداً لشرعيته. في الانتخابات البرلمانية للعام 2005، والتي سمح فيها لقوى المعارضة بتنظيم حملاتها الانتخابية بحرية نسبية، فازت جماعة الإخوان بنسبة لم يسبق لها مثيل بلغت 20 في المئة من المقاعد في مجلس الشعب. في هذا الوقت، اختلف قادة الإخوان المحافظون والإصلاحيون حول ما إذا كان يتعيّن على الجماعة أن تحاول تشكيل حزب سياسي حقيقي، والمدى الذي ينبغي أن يصل إليه التنسيق مع أحزاب المعارضة الأخرى، وجوانب البرنامج السياسي للجماعة، بما في ذلك دور رجال الدين في العملية التشريعية، فضلاً عن الحقوق السياسية للمرأة وغير المسلمين. مارست حكومة مبارك ضغوطاً كبيرة على الإخوان من العام 2006 فصاعداً، بما في ذلك اعتقال مئات من أعضاء الجماعة، ومحاكمة قياداتها العليا أمام المحاكم العسكرية وشنّ حملة على القاعدة المالية للجماعة. في ظل نظام حسني مبارك، لم تكن جماعة الإخوان قانونية، ولكنه سمح لها بدعم مرشحين مستقلين في الانتخابات وتطوير قدرة تنظيمية مثيرة للإعجاب. قبل انتخابات العام 2010، جمع الإخوان مئات الآلاف من التواقيع على عريضة محمد البرادعي للتغيير خلال ما يزيد قليلاً عن شهر واحد فقط. ومارس التنظيم أيضاً تأثيراً كبيراً على النقابات المهنية وعلى شبكة واسعة من المؤسسات الخيرية الإسلامية، كما مارس نفوذاً في الساحة السياسية الرسمية من خلال ممثليه في مجلس الشعب. بالنسبة للانتخابات البرلمانية لعام 2010، كان الإخوان يأملون في خوض الانتخابات بما يزيد عن 145 مرشحاً لمقاعد مجلس الشعب البالغة 508. استبعدت السلطات الانتخابية حوالي 20 في المئة من مرشحي الجماعة، خاضوا الانتخابات جميعاً كمستقلين، ولم يتبقّ سوى 104 من مرشحي الإخوان لخوض الانتخابات. في الفترة التي سبقت الانتخابات، واجه أعضاء الحركة قمعاً شديداً من نظام مبارك: تمّ سجن المئات، ومصادرة الموجودات، وإجبار المحالّ التجارية على الإغلاق. في الجولة الأولى من الانتخابات، لم يفز أي من أعضاء الجماعة في الانتخابات بشكل مباشر، وفاز 27 مرشحاً فقط بما يكفي من الأصوات للمشاركة في الجولة الثانية. بعد اتّهامات بالتزوير والتلاعب قام بها الحزب الوطني الحاكم الذي فاز بنسبة 95 في المئة من المقاعد الـ 221 في الجولة الأولى، أعلنت جماعة الإخوان أنها ستقاطع الجولة الثانية..

الأحكام العسكرية طائفة من المدنيين بحكم وظيفتهم أو أعمالهم يتصلون اتصالاً مباشراً بالقوات المسلحة، وهؤلاء هم المدنيون الذي يعملون في وزارة الحربية أو في خدمة القوات المسلحة على أي وجه كان.

وخضوع هؤلاء الأفراد لقانون الأحكام العسكرية لا يكون إلا أثناء خدمة الميدان، وذلك للصلة الوثيقة التي تربط أعمال هؤلاء الأفراد بخدمة القوات المسلحة. ويلاحظ أنه لا يشترط أن يكون الشخص موظفاً عمومياً، بل يكفي أن يعتبر في حكم المكلفين بخدمة عامة. وقد اكتفت عبارة النص بأن يكون الشخص يعمل في وزارة الحربية أو في خدمة القوات المسلحة على أي وجه كان. وهذه العبارة الأخيرة تتسع لتشمل جميع من يعمل في خدمة القوات المسلحة على أي صورة كانت، ولذلك فهي تسري على المقاولين والمتعهدين ومن يعمل لديهم في تنفيذ عقود المقاولة والتوريد والأشغال العمومية التي تتعلق بالقوات المسلحة.

ثانياً: معيار عيني (الأفراد المدنيون): أخضع المشرع طائفة من الأفراد "المدنيين" لقانون الأحكام العسكرية، وقد اهتدى في تحديد تلك الطائفة بنوع الجرائم التي تقع منهم، وهي:

1-الجرائم التي تقع على معدات ومهمات وأسلحة ودفاتر ووثائق وأسرار القوات المسلحة.

2-الجرائم التي تقع في المعسكرات والثكنات والمؤسسات والمصانع والسفن والطائرات والمركبات والأماكن والأشياء والمحلات التي يشغلها العسكريون لصالح القوات المسلحة أينما وجدت.

وقانون الأحكام العسكرية يطبق على مرتكبي تلك الجرائم أياً كانت صفتهم وأياً كان نوعها، أي حتى لو لم يتضمنها قانون الأحكام العسكرية بنص تجريمي وكانت مجرمة فقط بنصوص قانون العقوبات العام.

والشرط الأساسي للخضوع لقانون الأحكام العسكرية أن تكون تلك الأماكن مشغولة لصالح القوات المسلحة. والحكمة من تطبيق أحكام قانون الأحكام العسكرية على تلك الجرائم هي كما ورد بالمذكرة الإيضاحية، مراعاة ظروف تلك الأماكن وما تتطلبه من الحفاظ عليها وعلى سريتها وما تتطلبه المحافظة على الأمن فيها من إجراءات سريعة.

3-الجرائم المنصوص عليها في قانون العقوبات العام وهي الجنايات والجنح المضرة بأمن الدولة من جهة الخارج والداخل كجرائم المساس باستقلال البلاد ووحدتها وسلامة أراضيها وجرائم السعي لدى دولة أجنبية والتخابر معها أو مع أحد ممن يعملون لمصلحتها للقيام بأعمال عدائية ضد الجمهورية أو لمعاونتها في عمليات الحربية أو للإضرار بالعمليات الحربية للجمهورية، كذلك في الجنايات والجنح المضرة بالحكومة من جهة الداخل، ومثال ذلك محاولة قلب أو تغيير دستور الدولة أو نظامها الجمهوري أو شكل الحكومة بالقوة.

والشرط لخضوع تلك الجرائم وخضوع مرتكبيها لقانون الأحكام العسكرية هو صدور قرار جمهوري بإحالتها إلى القضاء العسكري.

4-كذلك نصت المادة 2/6 على أن لرئيس الجمهورية متى أعلنت حالة الطوارئ أن يحيل إلى القضاء العسكري أياً من الجرائم التي يعاقب عليها قانون العقوبات.

والغريب أنه لم يعترينى أي فتور أو تعجب حين وقعت في يدى قضية "محروس العناب" أمين الشرطة الذى سيحاكم عسكرياً، مع أن الشرطة لها قانونها الخاص، وهى ليست من القوات المسلحة؟! ولا تعاقب في أي دوله بقانون الجيوش ولا حتى أيام نابليون في فرنسا، وقد يرجع ذلك لكون هذا الأمر كان موضوع بحثى وقت السفر لإيطاليا في أحد المؤتمرات وقت بحث تطوير الشرطة في إيطاليا في 2000م.

يومياتي المضجرة؟!

لماذا أعجز عن الإفلات من يومياتي المضجرة؟! رأس مثقف، وقلب فلاح، وأقدام متسكع تَذَكَّرْتُهَا فَشَعَرْتُ براحَة لا أعرف مَصْدَرها. كان وجودُها معي يجعلني أتحَدَّي غُمُوضَ الأماكن الجديدة، أَشْعُرُ في قِلَّةِ الْمِصْرِيِّين بِغُرْبَة وَتَوَتُّرٍ. لَكِنِّي جمعتني بها إيطاليا، وقت مناورة أختي مديحة لتركي مصر بعد تخرجي، لولا حناني لخبز أمي، قَدَرٌ نَاعِمُ الخُطَى فِي نابولي بإيطاليا! جمعتْنا قليًلا قاعات المؤتمر وكثيرًا الصُّدَف. كانت من هرهورَة (جنوب الرِّباط) على شاطئ "كازينو الساحر" بالمغرب، هَذَا الشّاطئ يقصدنه النِّساء مُنْذُ الزمن الْقديم، يأتين ليُغطسن أجسادهن سبع مرات فِي موجات سبع طلبا للزواج أو رغبَة فِي الإنجاب السريع.

جاءت من هُنَاكَ حيث الْحياَة بلون الْبحر!! كانت إيطاليا وقتها تقبل الشيء وعكسه في نفس الوقت، الفاتيكان الدينية والهوس في شوارع روما، المكرونة والبيتسا، الخوف والحب، ومما قبلته إيطاليا - الشرطة المزدوجة - أقسام

بشرطة عسكرية من الجيش يطلق عليها "الدرك" وهو الاسم الشائع "لعرما دي الدرك" والدرك العسكري تشبه واجباته واجبات الشرطة، وتخدم أيضا باسم الشرطة العسكرية للقوات المسلحة الإيطالية. يقومون بأعمال مقاومة المافيا "الجريمة المنظمة"- وأخرى شرطه مدنية Polizia دي ستاتو (شرطة ولاية) من واجباتها إنفاذ تسيير الدوريات والتحقيق والقانون، وتقوم بدوريات في :أوتوسترا -اكسبرسا شبكة الطرق السريعة في إيطاليا) يلحق بها الجميع من كافة الدراسات في كليات الجامعة، علم الاجتماع والقانون والدراسات الإنسانية يلحقون في دراسة إعداد لمدة سنة) وبسرعه أحب الإيطاليون الشرط العسكرية أكثر وذهبوا إليها فقد كان يجوز لها النظر في جرائم السرقة التي قيمتها 900$ فأكثر وبالغ أهل إيطاليا، في قيمة المسروقات لتنظرها الشرطة العسكرية؟! فالشرطة العسكرية وجدها الإيطاليون جادة وأكثر حزماً.. وفى سنة 2000 انشغلت إيطاليا بأمريين: تطوير شرطتها المزدوجة التي يحكم نصفها قانون

الجيوش، ويحكم النصف الثاني القانون المدني العام. وجاء المؤتمر لهذا الغرض؟!

أما الأمر الآخر فهو "الحج للفاتيكان"، فعلى رأس كل 100 سنة يكون للكنيسة هناك احتفال موسَّع يسمونه بالحج ابتهالا للرب وفرحةً بقرن جديد، ويستمر طوال شهر يناير، يخرج فيه البابا يومياً في ساعة محددة قبل الغروب يعظ ويبتهل ويلقى بماء الكنيسة المقدس على الناس.. ولأن الفاتيكان تقع داخل إيطاليا، بما يشبه دولة داخل دولة.. فلا يفصل الفاتيكان عن إيطاليا إلا بوابات حديدية وجدتها مفتوحة على الدوام. وفى هذه المناسبة تكون إيطاليا داخل الفاتيكان؟! حتى أن الأطفال تنظم لهم مدارسهم رحلات للفاتيكان، وبدا الأمر يشبه كرنفالا للفرحة، فهو يتم بلا أي طقوس، خاصة فيما يلبس أو يفعل؟

ومن الأمر الأول أدخلني زوج أختي "شوكت" روما لأتحدث عن تجربة الشرطة المصرية "التي لها الطابع الإيطالي" – فيما رأينا في بحثنا - فهي مدنية كلها وتحكم

كلها بقانون عسكري هو نفسه قانون الجيش المصري؟ وقوة أفرادها فيها عسكريين (قح) من جنود القوات المسلحة المجندين إلزامياً في الجيش "وأكثرية مدنية من الأمناء والأفراد، أما ضباط الشرطة في مصر فبدا لنا أنهم لهم طبيعة خاصة "مختلطة" بين المدني والعسكري؟

وذهبت لإيطاليا وجلس لي شوكت يترجم للإيطالية ما أكتب وأشرح ويضبط البحث من ناحية الشكل ["مناهج البحث" وكيفيه الاقتباس وكتابة الهوامش،] فقد هاجر بأختي لهناك منذ زمن! كانت توصيتنا أن تكون التجربة المصرية هي الحل للوضع الإيطالي؟!

على العموم كانت هناك بحوث أخرى من أمريكا وإيران والمغرب وكثرة من فرنسا.. وهناك كانت "درية رماح" من (الشرطة النسائية المغربية) تعمل في قطاع السجون بشرطة المغرب، فالسجين والسجان يجمعهما السجن؟! وكأنها هربت من أزقة المغرب الضيقة وعيون

حاراتها الواسعة المتلصصة! ما كنت أمشي معها في الشارع العام، وهى بجانبي من دون أن تضع يدها حول وسطى..

أصرخ مبتعداً عنها: مجنونة، نحن في الشارع العمومي، ألا ترين الناس؟!

تقول: إنها نابولى. وليست حارات بلادنا الضيقة.

تلتصق بي وتقول: إنهم لا يروون شيئا. لا أحد ينظر إلينا، تلفت نظر الناس، عندما تبتعد عنى!..

وأنا أشهق رغما عني وألتصق بها..

أجواء نابولي الساحرة تشبه مدينة الإسكندرية التي أعرف أزقتها وحاراتها. تنجح "درية رماح" في جذبي للهْوِها المحوَّج بحيوية مغربية سمراء تجيد الفرنسية ولا تجد صعوبة في التحدث بالإيطالية، وتملك تهوراً بلا حدود اكتسبته من قصص الغواني في السجون، ركبنا (الترفريك) المعلق وسبحنا على الشاطئ، وفعلت ما يفعل الإيطاليات بتعرية صدرها مباشره للشمس، شدت الجزء العلوى من

البكيني وهى تقول لي: (إذا كنت في روما.. فأفعل ما يفعل أهل روما). فهي قد وضعت ورقتها للمؤتمر في اليوم الأول وذهبت للمتعة مهتبلة فرصة سفر لفَّها لها القدر في شكل مؤتمر!

سحبتني لفندقها الذى عاش فيه الملك فاروق أيام حياته الأخيرة بنابولي - من أجل (قيلولة) - تتوجني بها ملكاً جديدا، ولكنى كنت ناصري الهوى؟!

تقول: هل لك في قيلولة؟!

أقول: القيلولة تعبير زماني عن وقت تكون فيه الشمس عمودية على الأرض، فيهرب الناس من أشعتها الحارقة إلى النوم

تقول: أليست تعبيرا جنسيا عن الشوق؟ عن شدة حرارة الرغبة؟!

دخلنا لحظَةَ من أَجَلِّ ما عرف الزَّمن رغم أنها مُعادَة وتحدُث فِي اليوم الْواحد آلاف الْمرَّات، فهِيَ الْمَعاد الَّذِي لا يُملّ، وما ينبغي أن يُمَل؛ فهي سِرَّ الْوجود الأعظم!

ولكنى كنت منتبه.. وكانت لا تخلو من غرابة وتهور..

قالت: أهبك متعة؟.. أستغرب.؟!. تقول: الإمام علي تمتع بامرأة من بنى فحشل؟!

افجع بكلامها الغريب.

قرأت قوله تعالى: [وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاء ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إن اللّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا.]..

كيف ألهمتنا الْفجورَ وهى تتلو نص مقدس؟! فسبحان من أَلهم نفوسنا فُجُورَها وتقواها. هِيَ كانت تبحث عن مكامِنِ تؤول النَّصَّ وأنا أُقَدِّس النَّص ولا أَخرُج عليه...

أقول: فما المتعة؟!

قالت زواج محدد المدة نتعاشر به خلال مدة وجودنا بإيطاليا وينتهى بسفرنا..

هل في الإسلام هذا الزواج؟!

هو في الإسلام عندنا في الشيعة؟

السؤال: هل زواج المتعة حلال أم حرام؟

تقول: من أقبح الذنوب وأكبر الكبائر أن ينسب الإنسان التحريم والتحليل إلى الله بغير علم (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب) دليل الجواز هو الروايات الكثيرة جداً الواردة عن طرق أهل البيت عليهم السلام...

أهرب من جنون لا أفهمه .. وبدبلوماسية أقول لها: ليس كل حلال يجب أن نقبله لأنفسنا فلو خطب أختي مسلم أفريقي شديد السواد نتن الرائحة قبيح الوجه هل أقبله؟! هذا مع أن ذلك حلال بل مستحب..

تقول في غل: أنت لا تنام مع النساء، أنت تصحو معهن فقط.؟ !

غابت معشوقتي الحلوة بعد أسبوع معقد بين جلسات المؤتمر، وغرابة طبعها، وعشت الإلحاح من أختي على عمل معادلة في القانون من فرنسا وأعيش معها هناك فهي الخطوة القادمة في طريق الغربة لها مع الدبلوماسي زوجها شوكت، لم يتم المشروع الذى بدأ الشروع في إتمامه لتعذر بيع (فيلا شبرا) الذى كان سيموّل مشوار فرنسا، ورفض أمي وانتهى كل شيء كما بدأ. فقد كانت عين أختي مديحة على حقها الشرعي في ورث أبيها (فيلا شبرا). وظل زواج المتعة الذى رفضته يلح عليٍ؟!

بحثى الذى سرقة شوكت؟!

الشرطة والأحكام العسكرية: من الجدير بالذكر أن الجيش والشرطة كانا مندمجين في هيئة واحدة واستمر هذا الوضع حتى تم الفصل عام 1944 بالقانون رقم 140- إلا أن الأثر التاريخي لأيام هذا الاندماج (من 1893 إلى 1944) كان له أثره على قوانين هيئة الشرطة حتى الآن (القانون رقم 109 لسنة 1971)، الأمر الذي جعل قانون الأحكام العسكرية أمراً حتمياً في التفكير الشرطي[5].

---

[5] الأمر العالي رقم 7 لسنة 1884 نص على خضوع رجال الجيش ومن في حكمهم للمجالس العسكرية ويقصد بمن في حكمهم (رجال البوليس وقتها) في 1889 صدر أمر عالي صريح ـ يجيز محاكمة بعض أفراد البوليس أمام عسكرية إذا ارتكبوا ما يخل بالنظام ـ ثم انفصلت القوات المسلحة عن البوليس الذي نظمه القانون رقم 140 لسنة 1944 ونصت المادة 17 من هذا القانون على خضوع ضباط البوليس للأحكام الموضوعة لرجال الجيش في كل ما يتعلق بأعمالهم في قيادة قوات البوليس، بينما يخضع الكونستيلات وضباط الصف والعساكر لتلك الأحكام في كل ما يتصل بخدمتهم. ثم صدر القانون رقم 234 لسنة 1955 بنظام هيئة الشرطة والذي استمد الكثير من أحكامه من نظام العالمين بالدولة (رقم 210 لسنة 1951) قوات بالرغم من ذلك نصت المادة (116) منه على: خضوع الضباط لقانون الأحكام العسكرية (القديم) بالنسبة إلى الأعمال المتعلقة بقيادة نظامية. ويخضع للقانون المذكور الكونستبلات والصولات وضباط الصف وعساكر الدرجة الأولى ورجال الخفر النظاميين في كل ما يتعلق بخدعتهم، وهذا القانون لم يغير شيئاً في مجال خضوع الضباط لقانون الأحكام العسكرية كذلك بالنسبة للأفراد إلا أنه أضاف إليهم فئة الصولات وكانوا يعتبرون من ضباط الصف كذلك أضاف فئة الخفراء النظاميين. ويلاحظ أن كلمة (شرطة) لم تستخدم كاسم لجهاز البوليس إلا عام 1959 ـ وكان يقال (البوليس المصري) تمييزاً عن العنصر الأجنبي الأوربي الذي كان يشغل وظائف فيه حتى عام 1946 وكان يرمز لأعضائه (بالبوليس الأوروبي).

أنظر: د. جاد الله طه، بريطانيا والجيش المصري (1924-1927) العالمية للطبع والنشر ـ ص 62 وما بعدها 1980.

ثم صدر قانون هيئة الشرطة رقم 61 لسنة 1964 وقضت المادة (122) منه على أن يخضع لقانون الأحكام العسكرية والقوانين المكملة له الضباط في أعمالهم المتعلقة بقيادة قوة نظامية، والكونستابلات والمساعدين وضباط الصف وجنود

فالواقع القانوني بالفصل لم يطبق بعناية واستمر حتى 1952 فقد بلغ عدد المنقولين من الجيش للبوليس 206 ضابط، ومن المعروف أن بريطانيا عقب اغتيال السردار في 1924 أرجعت وحدات الجيش المصري من السودان ليتم توظيف كل هؤلاء في جهاز البوليس، بل أن كثيرا من ضباط السودان تدفقت أعداد منهم لمصر، فتم استيعابهم في البوليس عام 1927 ومنذ عام 1938 وحتى الآن رؤي تعزيز قوات البوليس بالجنود الذين يؤدون الخدمة العسكرية بالجيش .

اختصاص القضاء العسكري في الشرطة: إذا كان القضاء العسكري بالقوات المسلحة يمتاز بالتوسع والامتداد فإنه على عكس ذلك في الشرطة، وقد نص عليه في مادة واحدة وهي م 99 من قانون هيئة الشرطة رقم 109 لسنة 1971 وتعديلاته، فجعلت الضباط يخضعون للقضاء

الشرطة والخفراء النظاميين في كل ما يتعلق بخدمتهم. ويصدق على أحكامه الآمر بالتشكيل وللمجالس العسكرية توقيع العقوبات المنصوص عليها في هذا القانون أو العقوبات المنصوص عليها في قانون الأحكام العسكرية.

انظر: لواء جمال حجازي وعميد حلمي الدقدوقي - موسوعة القضاء العسكري - الجزء الثاني - 1986 - ص 107 وما بعدها..

الشرطي حال قيامهم بالأعمال المتعلقة بقيادة قوة نظامية فيخضعون لقانون الأحكام العسكرية، وأخضع أفراد هيئة الشرطة من أمناء ومساعدين ومندوبين وضباط صف وجنود ورجال خفر نظاميين لقانون الأحكام العسكرية في كل ما يتعلق بخدمتهم.

وأخضع المجندين الذين يؤدون خدمتهم الإلزامية بالشرطة في جميع شئونهم لقانون الأحكام العسكرية وأعطى المشرِّع للقضاء العسكري بالشرطة ولاية جنائية لتصبح المحاكم العسكرية بالشرطة محاكمَ جنائية.

وفي مقابل ذلك توسع القضاء العسكري في اختصاصه الجنائي مستخدماً نص المادة 48 ق.أ.ع في جعل السلطة القضائية هي التي تحدد ما إذا كان الجرم داخلاً في اختصاصها أم لا، مع إعمال نص المادة 2/7 ق.أ.ع بعدم اختصاصه إذا ما كان الأشخاص الخاضعون لحكمه معهم شريك أو مساهم مدني في كافة الجرائم المرتكبة، وذلك من باب الملاءمة.

وعلى هذا فلابد من توافر ثلاث شروط في أعمال الاختصاص أمام المحاكم العسكرية الشرطية:

1- أن يكون المتهم من أفراد هيئة الشرطة الخاضعين لأحكام القانون رقم 109 لسنة 1971 وتعديلاته.

2- أن يكون ما ارتكبه المتهم من جرم يتعلق بخدمته.

3- أن يكون ما ارتكبه المتهم من جرم ليس معه فيه شريك أو مساهم مدنى..

وننوه إلى أن القضاء العسكري بالنسبة لضباط الشرطة موقوفة النصوص المحددة لاختصاصه لعدم وجود آلية تشريعية فيما يتعلق بقرار الإحالة والتصديق وتشكيل المحاكم الخاصة بالضباط، وأنه لا يثير أي مشكلة بالنسبة للمجندين، إذ أنهم خاضعون له في كل شئونهم، أما المشكلة ففي أفراد هيئة الشرطة، واستقر قضاء النقض على أن المقصود بعبارة (ما يتعلق بخدمته) أن يكون الجرم الذي ارتكب أثناء أو بسبب الخدمة أو كلاهما معاً.

يحضرني ذلك بعد مرور السنين.. وأنا في أول طريقي في قضية "الأمين محروس.. والتركية/ نيسا برزمج "

اذهب للنيابة فيقول الكتبة: رئيس النيابة بخدمة، أصحح لهم: تقصدون جلسه محكمة. يردون :لا خدمة، أنت مش دارى بالبلد والثورة؟! أفهم بأنه بخدمة كمين ليليه؟!

أثناء كلامنا يصل رائد في عمرى، الثلاثيني، مرهق ويتأفف، أسأله عن الأمين محروس، يجيب وهو مرهق: الواد الخايب اللي وقع في سكرتيرة وزير التجارة التركي؟

أقول: لا دى واحده تركية تانية نيسا برزمج..

يضحك ويخرج سجائره الأجنبية ويقول: هي هي الاثنين واحد..

أسرع بحداقتى لسيجارته، فيشعر بعمق بالتبغ.. أنتهز اللحظة: هل يمكن الاطلاع على التحقيق؟!

يرد وهو يتثاءب: ممكن التوكيل؟ !

أقول بنبرات خضوع تعودت عليها في المحاكم: المتهم محبوس يا ريس؟! يطفئ سيجارته، وينتهى أثر النيكوتين، يلف كرسي المكتب ويزأر: روح السجن العسكري بألماظة والمأمور بيقوم بالواجب، ورقة عرفيه بقبول الأمين للوكالة.

إذن بدأ اللعب.. أقول بقوة وحسم : المتهم مستمر في محبسه لمدة تزيد عن 21 يوم رغم تمتعه بحالة من حالات إخلاء السبيل الوجوبي بنص المادة 2/142ق. أ. ج" في مواد الجنح يجب الإفراج حتماً عن المتهم المقبوض عليه بعد مرور 8 أيام من تاريخ استجوابه إذا كان له محل إقامة معروف في مصر وكان الحد الأقصى للعقوبة لا يتجاوز سنة واحدة ولم يكن عائداً. إذ أن العقوبة في جريمة المادة 306 مكرر (أ) من قانون العقوبات هي الحبس لمدة لا تتجاوز سنة أو الغرامة..

يجفل وينكمش ويزداد إرهاقا وتوترا، ويخرج سجائره الأجنبية ويعزم بود، أضيع عليه فرصه السيطرة بأننا

مختلفين في نوع السجائر، يأتي بالملف، يتأكد من الخطأ، ولكنه يقاوم بجليطه: الملف بكره حيكون في المحكمة.

أنظر في ثبات لعينيه: المتهم يخلى سبيله ويروح المحكمة مخلي السبيل...

يترنح: حاضر عشان خاطرك. نفك حبسه الاحتياطي، ويرجع شغله كمان لحين جلسة المحكمة.

ألمُّ الدور.. وأغيِّر نبرات الصوت: أنا مقدر اللي أنتم فيه وحكاية الخدمات دي أُوفر قوى!

يسلم.. شعر بنقلتي الموجعة عبر (رقعة شطرنج الحوار) فكش ملك..

قال: يا باشا احنا مش عارفين نشتغل!!

ولاحظت آثار حريق على جدار الحجز؟!

خدش حياء نيسا برزمج:

اتهمت النيابة العسكرية الأمين محروس حال وجوده بخدمته (مباحث) سياحة بفندق شبرد بالتعرض لأجنبية تركية الجنسية تدعى / نيسا برزمج على وجه يخدش حياءها بالقول، مدعية أنه تلفظ لها بكلمة (سكسي)، بتهمة: التعرض لأنثى على وجه يخدش الحياء (قولاً) المادة 306 مكرر (أ) من قانون العقوبات العام.

وهناك ترجمة ركيكة لبلاغ السائحة المذكورة لم يُحَدَّدْ فيها المتهم باسمه أو بوصفه، فالمتهم كان يرتدي وقت خدمته ملابس ملكية - مباحث (بنطلون رصاصي وقميص رصاصي وجاكت أسود) وهي في بلاغها اتهمت: شخصا يرتدي بدلة زرقاء قال لها همساً كلمة (سكسي).تارة، وشخص يرتدي جاكت أزرق من الشرطة نظر لها نظرات جنسية. وجموع من سائقي التاكسي والجمهور غازلوها بعبارات جنسية باللغة الإنجليزية؟!

تبين لي عدم وجود دليل يقيني في الأوراق على نسبة الجرم للمتهم: فلم يتم سؤال الشاكية تفصيلاً في محضر جمع الاستدلال (الشرطة) واكتفى بتقديمها بلاغ مجهل باللغة الإنجليزية قدمته في غيبة المتهم ودون مواجهتها به أو عمل استعراف عليه. فلم تُستدعَ أمام النيابة لأخذ أقوالها والتأكد من أنها تريد الشكوى ضد المتهم بشخصه رغم أننا أمام جريمة يُعَلَّق رفع الدعوى فيها على شكوى شفهية أو كتابية من المجني عليه كنص المادة (3) من قانون الإجراءات الجنائية.

وقد ورد في هذا الشأن (تعليمات المدعي العام العسكري): لا يجوز للنيابة العسكرية رفع الدعوى في الجرائم المعلقة على شكوى أصحابها للمحاكم العسكرية قبل التأكد من وجود شكوى ذوي الشأن وبحثها والتأكد من إصرار أصحابها عليها، لأنه يجوز التنازل عن الشكوى وهذا النزول إلى أن يصدر فيها حكماً نهائياً".

أنهيت اطلاعي، في حجرة كتبة وموظفي النيابة، وقبل انصرافي كنت أريد أن أشكر الضابط رئيس النيابة، لكنه كان ناعساً على مكتبه بطريقه الأطفال في ال KG B. بدت القضية مهلهلة كوضع الشرطة بعد 25 يناير، انتهت الدقة والتدقيق

أدخل المحكمة العسكرية المركزية ـ لها سلطة العليا، النيابة قدمت المتهم مخلى السبيل للمحاكمة، يتولى المحكمة ضابط واحد برتبة مقدم على يساره كاتب الجلسة وفى حضور النيابة، يدير الجلسة من مكتبه، فقد احترقت قاعة المحكمة، فبدى الأمر كجلسات مد الحبس في القضاء العادي، وتفتح الجلسة، وتواجه المحكمة المتهم بتهمته الواردة من النيابة في قرار الاتهام.

يقول محروس: ما حصلش،

فيسأل القاضي: قول لي اللي حصل؟

ويسمع منه، ثم ينادى على شاهد يقول اسمه وسنه ويتبين أنه مرشد سياحي وهو نفسه الذى قام بترجمة الشكوى يقول: إنها كانت في مؤتمر بالفندق انتهى قبل موعده، فخرجتْ للبحث عن السائق، وعند خروجها قابلها شخص يرتدي جاكت أزرق. فقال لها بصوت منخفض وهمسا (سكسي)، ثم خرجت من الفندق فتعرضت لوابل من عبارات الغزل من المارة ومن سائقي التاكسيات. ولكنها عند دخولها للفندق للمرة الثانية لزعرها، نظر لها نفس الشخص نظرات جنسية ولما عرفت أنه بوليس ـ وهي تعودت على مثل هذه الأشياء من قبل ـ ولكنها استاءت أن يفعل ذلك رجل البوليس، فقدمت هذه المذكرة لمدير الفندق.

يصلني المعنى الواضح أنها قد تنازلت في شكواها عن كل الناس إلا محروس المتعوس باعتبار أنه بوليس على حد قولها. أعدل في اتجاهات دفاعي، فلم يكن هناك مجال لشريك مدنى يخرج القضية من اختصاص القضاء العسكري "برغم غزل أمة لا اله إلا الله" لها.

النيابة تتمسك بالاتهام، فينادى على الدفاع. أطلب البراءة بالصفة الأصلية والاحتياطية وسندى في ذلك [1] وجود ترجمة بأقوال المجني عليها من غير خبير معين من قبل النيابة حلف أمامها يمين الخبرة حتى يأخذ به في الأقوال: وجاءت الترجمة ركيكة فلم تستطع أن تترجم العبارة محل البلاغ إلى اللغة العربية وكتبت (سكسي) هكذا بالعربي. مع عدم وجود دلالة واحدة ومعنى واحد لكلمة (سكسي) وبخاصة أنها سمعت ولم تقدم للمجني عليها مكتوبة فتأتي بمعنى سادساً SIXTHY وبمعنى لحن يغنيه "سداسية " SEXTE. وSIXTHY بمعنى امرأة جميلة ـ امرأة مثيرة وSEXY- امرأة ولود "ليس بها عيوب تمنع الحمل". والكلمات السابقة لها نطق واحد ومحكمة النقض تقول في ذلك (لا عقوبة على العبارات التي تفيد مجازاً معنى السب أو الافتراء أو خدش الحياء إلا إذا أثبت أن المتلفظ بها يقصد ذلك المعنى المجازي، لأن الأصل في الكلام الحقيقة) انتفاء أركان جريمة التعرض لأنثى على وجه يخدش الحياء:

تتكون جريمة التعرض لأنثى المادة 306 مكرر (أ) من ثلاث أركان: الركن المادي ـ الركن المعنوي ـ العلانية. فالعلانية: (الطريق العام أو المكان المطروق): التعرض يعني في ذاته الإصرار والتكرار، والعلانية تعني علم جمهور من الناس مكونين من أفراد غير معينين قد يتصادف وجودهم في المكان ولا تربطهم بالجاني أو المجني عليه صلات مباشرة، وفي هذه الجريمة لا يشترط في العلانية سوى علم الغير وإدراكه لتعرض الجاني للمجني عليه بالقول. إذا القاعدة لا ينسب إلى ساكت قول. وقد قررت السائحة فيما كتبته أن الشخص الذي قال لها (سكسي) قالها في صوت منخفض هامس ولم يسمعه أحد سواها.

يقاطعني القاضي: يا أستاذ قررت المحكمة تغيير القيد والوصف لتهمة الأمين المتهم لتكون كنص المادة 166 ق.أ.ع مادة السلوك المضر بحسن الضبط والربط العسكري.. وحين تأكد من نهاية تسجيل كاتب الجلسة لما قال رفع الجلسة بعد التأجيل لأسبوعين.

أخرج من الجلسة فلا أجد سيارتي، ألف ولا أعثر عليها؟ أضغط على الريموت لجهاز الإنذار فأسمع الصوت ولكن لا أرى السيارة، وقبل أن يقع قلبي، أتبين: عليها بضاعة لأحد الملتحين، فقد فرش فَرْشَة بُنِّي على مقدم السيارة وضع عليها بضاعته من لعب الأطفال، فأخفى معالمها تماماً، وعلى السقف مباشرة وضع بضاعة متناقضة مع بضاعته الأولى، سيوف وأسلحة بيضاء وروادع شخصية للدفاع تعمل بكهرباء ذاتية بعد شحنها. وعند عتابه ليزيح بضاعته.. رد ببجاحة: حد يركن في مكان أكل عيش؟!

كانت السيارة مركونة على الجانب المقابل لقسم الوايلي، وملصقة بالرصيف، ولكنهم حولوا ميدان العباسية، وما بعده لمكان أكل عيش بعد أن كان طريقا! الباعة الجائلون تلك الظاهرة العبثية التي استتشرت في شوارع مصر والذين حولوا الشوارع والأرصفة إلي كوابيس حية من التضييق علي مساحات السير، ناهيك عن الأصوات المنبعثة من أبواقهم التي لا تكف عن النباح ومخلفات

بضائعهم التي زادت أكوام الزبالة أطنانا، فأصبح كل شيء يبعث علي التقزز، ناهيك عن بضائعهم التي هي ترويج لبضائع بير السلم، وقصة الباعة الجائلين نستطيع أن نسردها علي مرحلتين:

-الباعة الجائلين وحقبه مبارك: فقد كانوا منتشرين إلا أن وجودهم لم يكن إلي تلك الدرجة الكبيرة التي رأيناها مؤخراً. كما كان نشاطهم قاصرا علي بعض الأرصفة والشوارع والميادين خوفا من المداهمات من سلطة المرافق ومكافحة إشغالات الطريق، فقد آثروا استخدام عربات خشبية ذات عجلتين حتي يسهل حملها وحمل ما فيها حالة المداهمة، أو استخدام عوارض خشبية في حالة الاكسسوارات والساعات أو البضائع التي يمكن عرضها محمولة والهرب بها عند اللزوم، وكثيراً ما كنت تشاهد مصادرة تلك العربات والعوارض وهرب أصحابها خوفاً من المخبرين.

--الباعة الجائلين وحقبه مرسى: المستخدم الجديد باللحية والجلابية والسروال ولا يختلف عن سابقه وإن

اختلف في مظهره أو مصدر تمويله أو هدفه! لا عجب أن يمتد نشاط بعض الباعة الجائلين الذين آثروا الإبقاء علي أصول المهنة أن يجدوا بضاعة مطلوبة وعليها إقبال ألا وهي تجارة السلاح الأبيض! عربات خشبية تبيع المطاوي والسلاح الأبيض بل ويقوم أصحابها بعرض إمكانياتها للسائرين حتي يزيد من فرص الشراء: "معايا مطوة قرن غزال... بتغز يمين وتغز شمال"؟!

وبعد أن ضيقوا الخناق علي السيارات وعلي المشاة في إجبار منهم للمارة علي الانتباه للبضاعة التي أصبحت مطلبا أساسيا في حماية الأنفس والبيوت بعد موجة الانفلات الأمني التي أغرقت البلاد. وفي ظل غياب كل السلطات! اتسع نشاط الباعة الجائلين ليشمل مساحات أوسع من الأرصفة والشوارع والميادين، وأصبحت البضائع لا تعرض علي عربات خشبية بعجلتين أو عوارض خشبية، لا، بل أصبحت هناك "نَصْبَات" تمتد لأمتار كبيرة بطول الشوارع وعرضها تعرض مختلف الأصناف والأشكال من البضائع المتردية

الجودة وارد الصين الشعبية والهند ودول آسيا إنتاج مصانع بير السلم!

وعند وصولي لمكتبنا بوسط البلد (منطقة وسط البلد التي صممها مؤسس مصر الحديثة إسماعيل باشا كي تحاكي le Champs-Élysées Paris واستدان من أجلها وأعجزت أحلامه ميزانية مصر).. وجدت التتار الجدد قد استحلوها ببضاعتهم الرخيصة: السواك، وأبو فاس، والشامبو المضروب، والملابس المستعملة. واعتادت الأعين علي ما يؤذيها والأنوف علي ما يزكمها، والآذان علي ما يصخبها..

يرن المحمول، يكون على الهاتف (سامية صليب)

أسمعها تبكى.. أسألها عن أحوالها؟ فتخبرني بأن رجلها اليسرى بالجبس منذ مظاهرات ماسبيرو[6].. وأنها لن تحضر قبل شهر بعد فك الجبس....

---

[6] أحداث ماسبيرو 9 أكتوبر وتعرف أيضًا باسم أحداث الأحد الدامي أو الأحد الأسود عبارة عن تظاهرة انطلقت من شبرا باتجاه مبنى الإذاعة والتلفزيون المعروف باسم » ماسبيرو « ضمن فعاليات يوم الغضب القبطي، ردًا على قيام

تحكى: كيف أطلق مجهولون النار عليهم من مراكب نيلية؟! وكيف سقط 33 قتيلا "دهسا" بمدرعات الجيش؟

أقول لها: يبدو أنك نزلت المظاهرة بالتايير "البينك"؟ !

تضحك.. تقول: لم يكونوا يتحرشون، بل يقتلون! ماذا حدث لنا؟ صرنا أمة متظاهرين بعد أن كنا أمة من المحبين؟ !

تنهى المكالمة بعبارة: أعجبتني رواية صاحبتك نجمة.. شممت فيها رائحة تبغك؟!

يطلبني صاحب المكتب الأستاذ داود.. يسأل: لماذا تأخرت؟ أحكى له قصة العربية التي حولوها فرشة بضائع.. يقهقه.. يباغتني بقوله :لا أصدق أن يحدث ذلك من خلف النظام! هل سمعت بما قاله أبو العلا ماضي عن تجنيد 3000 بلطجي داخل المخابرات، تم تسليمهم للعادلي فيما بعد؟!

سكان من قرية المريناب بمحافظة أسوان بهدم كنيسة قالوا إنها غير مرخصة، وتصريحات لمحافظ أسوان اعتبرت مسيئة بحق الأقباط وتحولت إلى مواجهات بين المتظاهرين وقوات من الشرطة العسكرية والأمن المركزي، وأفضت إلى مقتل ما بين 24 إلى 35 شخصًا أغلبهم من الأقباط.

أقول له عن مكالمة سامية، فيطلب بالتليفون محل ورد ويرسل لها زهور، أسمع وصف عنوانها منه: شارع شبرا العمارة المواجهة (لسانت تريزا). أتذكر فيلتنا القديمة فهي بنفس المنطقة، يقفل التليفون. مافيش أخبار عن إبراهيم، أسكت. يكمل: يظهر كبر علينا وعايز يكون له مكتبه.

يقول: أنا سعيد بك.. فلقد اتصل بك الروائي جبريل عبد الله ويشكرك على ما فعلته في مرافعتك بالمحكمة.. إن الرجل يعتقد أننا مستمرون في الدعوى من قبل دار النشر! قل لي كيف تصرفت وحدك؟!

قلت: ساعدني بقوة الأستاذ إبراهيم والآنسة سامية صليب، فهناك رسالة دكتوراه نال على أساسها الباحث جمال نجيب التلاوي، سنة 1992 درجة امتياز مع مرتبة الشرف من قسم اللغة الإنكليزية في كليّة آداب المنيا. عنوان الرسالة "تأثير مدرسة النقد الجديد الأنغلو-أميركية على النقد العربي المعاصر في مصر" وجاء فيها أنه وجد أن مقاطع كاملة من ديوان رفعت سلام "وردة الفوضى الجميلة" هي عبارة عن

ترجمات حرفية من شعر إليوت. وأن النقل لا يقف عند حدود المعنى، بل يتجاوزه إلى الإيقاع والنغمة اللذين انتقلا من الأصل الإنكليزي إلى الصوت العربي لهذه النغمة. كما أشار التلاوي إلى أن المفاهيم النقدية التي عبر عنها صلاح عبد الصبور في كتاباته النثرية يرجع جزء كبير من غموضها إلى كونها مأخوذة حرفاً ونقلاً عن أصول أنغلو-أميركية، خصوصاً كتابات إليوت وباوند وفي أطروحته، يتّهم التلاوي (حسن طلب) بالسرقة من "القصيدة المثلثة" للشاعر الأميركي كمنجز.

وتناولت الصحافة وقتها تجريس المذكورين، ولكن نفس محامى د. جيهان المشهور أستطاع أن يحصل لهما على تعويض ورغم اعتماد الرسالة! اعتبرها قذف لهما؟! وأحضر الأستاذ إبراهيم حيثيات الحكم الذى قال: رسالة الدكتوراه ليست حقيقة جازمة، ولكنها تحمل رأي كاتبها بما يحقق له حصوله على الدرجة، فهي دليل امتلاك الباحث لأدواته وقدرته على البحث العلمي، ولكنها ليست عين

الحقيقة التي يتعامل بها، وبالتالي لا يعفيها القانون من عقابه إذا قذفت وجرحت الآخرين. فدسسته في المرفقات..

أما سامية فقد فكرتني برواية أحبها لخليل صويلح "وراق الحب" الذى انتحل من النص الورقي لعدة مؤلفات روائية صفحات لا سطور بلا كلام ولا سلام ولا إذن ولا استئذان– وفاز بروايته بجائزه نجيب محفوظ؟! والباقي جاء من طول معاشرتي لك في المرافعات.

قال: إن أي اتهام يوجّهه كاتب ضد كاتب آخر، هو في كلّ الأحوال في حاجة إلى بيِّنة ودليل مادي، يثبت نسبة النص إلى صاحبه الأصلي. والآن تداخلت أشكال الكتابة، وأصبحت النظريات النقدية تسمح بوجود تناص مع أعمال أخرى تتجادل معها وتتقاطع، ومشروعية هذه الأشكال الفنية تضعها خارج نطاق السرقة.

ما الذي يجنيه أي مبدع من سرقة عمل فني بلغته وأجوائه وشخصيات هو رؤية كاتبه الذاتية ومناخاته؟ إن

المجتمعات الأدبية التي تشيع فيها مثل هذه المعارك هي بالضرورة مجتمعات مفلسة، تحاول افتعال القضايا الصغيرة البعيدة عن الإبداع والفن، فكل هذا سرابٌ أمام القضاء، ذهب مع الريح. ولم يقف أمام الدستور وحرية الرأي والعقيدة. وحق التعبير والتناص وتوارد الأفكار الذى يلقى بظله بيننا وكون الموضوعات عامة مفتوحة ينفعل بها الجميع كالحرب والسلام والثورات كل يلقى فيها بجردل بنات أفكاره وإبداعه..

ولكن البعض يعتقد أنه الوحيد المدرك للحقيقة والمعبر عنها والباقي لصوص؟! لقد تردد اتهام آخر عند صدور رواية "شرف" لصنع الله إبراهيم حيث أتهمه فتحي فضل بأنه سطا على عمله "الزنزانة والتي كتبها في (1993) مع أن الرجل كتب شكرا واجبا لكل من كتب أدب عن السجن. وذكر فتحي فضل وآخرين!

قلت: إن قضية الأستاذ جبران جعلتني أطل على مجتمعات المثقفين وقد طال الاتهام الجميع.. حتى أني صدقت مثلا قديما: "عدوّك ابن كَارَكْ")

ولكن ما حدث خلال مدة التأجيل القصيرة كان عجب العجاب: قام أمناء الشرطة بثلاث مظاهرات صاخبة أجهزت على القضاء العسكري بالشرطة، وأصبح أفراد الشرطة يعاقبون تأديبيا (بالإنذار والخصم من الراتب) مثلهم مثل المدنيين! وامتد نفوذهم لحد إغلاق الأقسام وربط أبوابها بالجنازير، وامتد انتقامهم الذى تفتق عن تحرير مخالفات مرورية (وهمية) للسيارات الخاصة التي أصحابها رؤساء المحاكم والنيابات في القضاء العسكري بالشرطة[7]؟

---

[7] منذ ثورة 25 يناير ظهر مع فوضى الدولة أزمة أمناء الشرطة لتنتقل من الفئة المهمشة إلى الطبقة الإليت؟! فزادت مرتباتهم من 700 جنيه إلى 1500 جنيه وقبل أن يطبق الحد الأدنى للأجور على العاملين في الدولة، بل لقد خرجت مظاهرة من المرفودين قبل التورة بأحكام عسكرية تطالب بالعودة للشرطة بحجة إلغاء القضاء العسكري!! ووصل الأمر بهذه المظاهرة إلى حرق دور بالوزارة ؟ تبين أنه يحفظ فيه ملفات الأمناء. واستمر زحف دولة الأمناء مطالبين بأن يكون لهم ما للضباط :النوادي والمستشفيات، وظهر لهم ائتلاف غير رسمي يتحدث لوسائل الإعلام ويعلن: مطالبنا لا رجعة فيها، فنحن ندفع حياتنا ولا أحد يساندنا، لا بدمن رفع حافز المخاطر من 30% إلى 100%" واستجابت الدولة. ولكنهم لم يكتفوا، يريدون تسليحا شخصيا كالضباط وبنفس الأسلحة الجديدة، ويريدون رفع مكافأة نهاية الخدمة من 14 ألف جنيه ل150 ألف جنية؟.. وقال أمين شرطة لمنى الشاذلي "احنا الوزارة يا مدام ..الضباط ما يجوش 37 ألف، الأمناء 115 ألف أمين.

بينما ظهر طلب واضح لجماهير "ميدان التحرير" بعد العيش والحرية والكرامة الإنسانية، لا لمحاكمه المدنيين أمام القضاء العسكري!

من قتل رفاعي طلبة؟!

القاهرة –2012

كان التلفاز أمامي أقلب القنوات بكسل عطلة الأسبوع. وقفت بالريموت كنترول عند الجزيرة. لا أعرف ما معنى الجزيرة مباشر "مصر"، إنها تعرف وتنقل عنا أكثر من المسموح لها عن قطر؟! تأتى الأخبار بكرة تخرج من البحر وتطفو بموسيقى لملحن مصري شهير؟! يقول المذيع: في حوالى الثانية ظهر الجمعة تجمع من عدة أماكن عدد 8 ألاف شخص على كوبرى الجامعة أمام سفارة إسرائيل، وعزموا على هدم الجدار الخرساني الذى تم إنشاؤه حديثا مواجها للسفارة على كوبرى الجامعة؟! ولا يعرف أحد كيف وصلت لهم عدة سيارات" بالشواكيش والحبال وغيرها" وبعد إتلاف الجدار بعنف انقسم (المتظاهرون) لمجموعتين: الأولى "لشقة أرشيف السفارة" وألقت بأوراقها للمتظاهرين، فعبثوا بها وحرقوها. وعند تعامل الأمن معهم، تحركت المجموعة الثانية "لمديرية الأمن" بقصد التخريب والإتلاف والحرق

مع العنف مع الضباط والأفراد من الشرطة.. وفجأة تحول المشهد لوطنية مطلقة حين قام شاب بتسلق جدار العقار وإنزال علم إسرائيل؟! ووضع علم مصر على سفارة إسرائيل مع نشيد "بلادي" للمحتشدين؟..

تأتى التليفونات متتالية من المكتب: كلنا في نيابة الجلاء، الأستاذ إبراهيم يحقق معه؟

التحقيقات:

عماره حسين (متظاهر): [والله العظيم أقول الحق] أنا مش مصدق، أن وداد قتلت رفاعي.. دى لعبة بوليس قذرة. رفاعي بطل، كان عنده نوباتجيه يومية على موتوسيكل إنقاذ المصابين، وهى أم المصريين كانت بتطبخ لنا بدون مقابل.

البواب: والله العظيم أقول الحق. أنا جديد في العمارة، ومن يوم الهوجة والناس رايحة جاية على العمارة، والسكان فرحانين بيهم، ووداد كانت بتطلع مع بنات وستات عشان لا مؤاخذه يعملوا زي الناس، لا أعرف مين عند مين!

عنايات الأبيض شقة 9: والله العظيم أقول الحق. وداد مرات البواب القديم ومشيوا قبل الثورة بشهرين، ومع بداية الثورة لقيتها مع الثوار، أنا ماكنش حد من بنات الثورة بيدخل شقتي إلا معاها، أيوه بأثق فيها وكنت باتركها مع العيال وكانت أمينه وكويسة.

سعاد سرحان (متظاهرة): والله العظيم أقول الحق. كنا بنام حواليها، وهى كالصقر بتحمينا بالميدان.

سليم قرني "عم وداد": والله العظيم أقول الحق. كانت طفلة في أسرة مكونة من 5 أفرد توفى أبوها، أقصد أخويا في حادث طريق، وكانت لسوء الحظ أكبر أولاده وتزوجت أمها وانقطعوا عنا ليقيم معهم زوج الأم "رجل قاسى الطباع" والأم تحث أولادها على طاعته، فهو الذى يتولى الإنفاق وهو رجل فقير الدخل يعمل (مكوجى). وعند بلوغ وداد ال14 سنة، رأى أن تنزل معه المحل لتوصيل المكوة للزبائن؟ ولم ترد الأم كلمته، وأثناء عملها، شاهدها رجل يقيم بمفرده، ضحكت له وهى تسلمه ملابسه بعد مكوتها فأعطاها

بقشيشاً وطلبها للزواج؟ وظلت أمها تقنعها بالموافقة رغم ظروف: الرجل، فالعريس (غنى) يملك مصنع (بلاط)، ولكنه متزوج بامرأة عاقر وعنده شقة غرفتان وصالة (ملك) وعمره 48 سنة. قالت لها أمها: لما تجيبى العيال حتبقى فرخة بكشك عنده وتقشى العز ده كله!.. وبدأت وداد تفكر، ده من ضحكة وكلمتين حلوين جالى على ملا وشه.. لو عملتله اللي بتعمله (الولية أمي) مع جوزها الثاني بعد أبويا: (اللبس العريان، والأكل المسبك) ده جايز يطلق الولية الثانية؟! وتزوجت كان عمرها 16 سنة وكنت وكيلها في عقد زواجها، وحولها الرجل لأرنبة (ماكينة أطفال) كان يريد أن يعوض صبره، وأنجب منها 5 أولاد، وكانت المشاحنات بالطبع بينهما طويلة وتدخلت ولكن؟! فهي من ناحيتها حولته لكيس نقود، تمردت على الجلابية السوداء والمنديل أبو قورة المشجر، وهو حبسها وضيق عليها حتى في زيارة أهلها، وكما قيل لنا.. رآها وهو عائد من عمله تمشى في بنطلون "استرتش" ضيق، ففزع واقسم أن يذلها، أخذ أولاده الذكور

وترك لها البنات؟! وسافر للزوجة الثانية ببنى سويف وغاب. ومعرفش عنها حاجه بعدها - هل لديك أقوال أخرى؟! لا.. تمت أقواله وبصم.

كنت أنا والأستاذ داود يسيطر علينا إيجاد مخرج للأستاذ إبراهيم، بينما كان هناك حشد من المحاماة من جمعيات حقوق الإنسان في جانب وداد. لاحظت الأستاذ إبراهيم يدس ورقة في خفه لساميه صليب؟! التي حضرت ممسكه بعكاز والجبس حور قدمها اليسرى وقد انصرفت بعد ذلك بلحظات.

وجاءت شهادة (الرائد هلال القوصي) لتقلب الموازين: والله العظيم أقول الحق. وجدنا 9 جثامين، بمشرحه زينهم لم يتعرف عليها أحد رغم مرور المدة القانونية لوجودها في الثلاجات، وجميعها مدون في السجلات أنها وارد "ميدان التحرير" بما يشير أنها لمتظاهرين. ولما كانت كل حاله ترد يتم أخذ بصمات الأصبع ومع ما قرر من تعويضات ومعاشات للشهداء، فقد تم إرسال البصمات لعمل الفيش

والتشبيه وإعادة محاولة التعرف مع استئذان النيابة للدفن، وكانت هناك في التسعة جثث ملاحظات غريبة، فهي لم تمت بطلق ناري ولا خرطوش وإنما بعضها بالخنق كجثه "ريم صبحى الراقصة " وبعضها موت طبيعي.

تدخلت النيابة: (كلمنا عن رفاعي طلبة موضوع الدعوى)

يستطرد: تبين أنه كان على علاقة بوداد وابنتها الكبرى، وأنه خطب بنتها الكبرى وأقام مدة سنه ثم تركهم. وبالاتصال بالمدعوة "منى حسن الأصيل" ابنه وداد الكبرى، التي تبين أنها حامل في الشهر السادس، أدعت بأنها زوجة الشهيد رفاعي ولم تقدم أي أوراق رسمية لأثبات ذلك؟! وكنا قد أجرينا الاتصال بها من موبيل رفاعي الذى وجد داخل ملابسه بالمشرحة أثناء التفتيش الإداري المتبع، حيث وجدنا عده أرقام متكرر الاتصال بها.. منها رقم "منى حسن الأصيل" ابنه وداد؟!

تحريات قسم قصر النيل: توصلت إلى غياب الزوج 4 سنوات؟! تزوجت وداد خلالها رفاعي بعقد عرفي وأنجبت منه طفلة، ولكنه كان يرغب في الإقامة معها؟! وبدأ يغازل ابنتها الكبرى، فطردته من المنزل وحياتها، فهجَّ وقد ترك لها ابنة منها قبل أن يراها "تركها حامل فيها"؟ فهي وزوجها الثاني رفاعي وكان يعمل سائقا تعرفا لأنها كانت تعمل في "خدمة البيوت" بعد هجر زوجها الأول لها، وتردد عليها في منزلها. ومنعاً للقيل والقال، تزوجا عرفيا، مع حيلة أن يطلب يد ابنتها للخطوبة في "مشروع وهمى" لا يكتمل، على أن تكون الأم هي المقصودة والمراد. ولكنها اكتشفت أنه يلعب على بنتها لعبة الخطيب والتجريب وما هو أنا حأبقى جوزك؟! زاغت عيناه، وحلم بالاثنين معاً، وكأنه بيت من لحم؟! أما الزوج الثالث لوداد فهو البواب "بواب عمارة الشرق" المطلة على ميدان التحرير، تزوجها عرفياً (كرغبتها)، هربت من عيون الجيران لحضن رجل! ولم يكن

يريد أن تنجب ولكنها أنجبت منه ابنه (محمد) رغم أنه كان يعطيها ثمن حبوب منع الحمل!

ولكن القدر يمهل ولا يهمل! عاد الزوج المهاجر، الغائب، التارك داره منذ سنين. عاد ومعه أولاده الثلاثة الذكور، بعد أن ضاقت زوجته الثانية العاقر بهم وبه (عملت بالمثل: يا باني في غير ملكك؟ يا مربى في غير ولدك؟!) عاد معتقداً أن وداد هي زوجته الوفية المنتظرة ليكتشف الحقيقة؟!ويتهم زوجته الملعونة (بالزنا).. وأثناء التحقيقات وجد الزوجين الآخرين تهمة في الانتظار.. أنهما شريكان في جنحة زنا؟

هرب الثلاثة وداد والزوجان: الثاني، والثالث.. وصدر أمر النيابة بالضبط والإحضار. ولكن المذكورة اختفت وسط المتظاهرين بالتحرير حتى ظهرت في فيديو وكانت الكاميرات تتابع الميدان خوفاً من اندساس بعض المساجين الهاربين وسط الثوار، وتم القبض عليها داخل شقه المحامي المتهم في القضية، وعند القبض عليها تم التحفظ على ما

معها وتبين أنها سكين وهاتف جوال ومبلغ من المال، وباسترجاع المكالمات التي على محمولها، ظننا بأنها تتصل بشركائها في جريمة الزنا، ورد لنا من موبينيل مكالمة نصها: قتلت رفاعي يا منى بتار شرفك.. قتلته يا بنت الخايبة؟ !

وكانت وداد المتكلمة...

ويصل تقرير الطبيب الشرعي: المدعو "رفاعي طلبة": بمناظرة الجثة تبين أنها لرجل في الثلاثين طويل وضخم وله لحيه كثيفة، يرتدى جلبابا أزرق وتحته سروال ويوجد آثار لحروق قديمة بذراعه الأيسر- سبب الوفاة طعن نافذ بآلة حادة عند القلب. ويمكن حدوث ذلك من السكين المضبوطة.

وبمنتهى الكذب جاءت أقوال إبراهيم: ليس لي بها صلة، بيتي بميدان عبد المنعم رياض وفتحته للمتظاهرين من 2011/1/24، هي مع الثوار من يوم الثورة، لا أعرف من

قتلت ولا كيف؟! البوليس وجد باب الشقة مفتوحا وكان معي مصور لقناة الجزيرة بيرصد التجمعات بميدان التحرير من شرفة الصالون...

(وأنا اضحك كيف لم أحذر بساطتك وتواضعك الكاذب؟! ولكن بتفاصيل غير عادية بسر ما، يكمن في مكان ما، لرجل تعدى الخمسين، يتحرك ببطء ولكن بخطوات واسعة وأعماق جامحة، نحيل منخور، لا تفارقه إبر الأنسولين، ولا يظهر في أناقته ووجهه مرور السنين، قد يكون بسبب عدم زواجه؟ بلطجي من نوع شيك؟! لا يحمل المسدس، بل القانون، ولكنى أحببت خفة دمه، وأحبني لصراحتي، كان يمارس شبابه الضائع معي، يسأل :أين يسهر؟ وكيف يلبس؟ ويستفسر عن اسم لطعام يحب تكرار مذاقه.)

حضرت ساميه ملهوجة معها شيخ عجوز في جلباب، ممصوص العود، وطلبت من المحقق سماع أقواله باعتباره الزوج الشرعي الوحيد للمتهمة؟ !

وأدلى حسن الأصيل بأقواله: والله العظيم أقول الحق. وداد أم العيال وأنا متنازل عن بلاغي، وأسحب شكوى الزنا من الموضوع.. وكفاية اللي هي فيه!!

اندفع الأستاذ داود يطالب بإخلاء السبيل للأستاذ إبراهيم على أساس أن تهمه وداد التي على أساسها تم القبض انتهت بتنازل الزوج. وبالتالي يكون إخفاء متهم أو التستر عليه المقرر بمحضر البوليس جريمة مستحيلة، أفهم المحقق الزوج بأن تنازله في مجلس النيابة يسقط حقه بصفة قطعية، فلا يملك الرجوع عن تنازله فيما بعد. ومع تصميم الزوج، كتبها المحقق ملحوظة ووقَّع عليها حسن الأصيل في محضر التحقيق.

وعند سؤال وداد، لم تنطق ولم ترد. وكرر السؤال فتهتهت وكأنها بكماء؟! وأنهت النيابة تحقيقها. واندفع المحامون من جمعيات حقوق الأنسان مع وداد في تسفيه التحريات والقول بعدم شرعية الدليل المستمد من الموبيلات لأنها عمل قضائي لا يقوم به البوليس إلا بأذن من النيابة أو

القاضي الجزئي مع إخلاء سبيلها على أن يستكمل التحقيق بعد عرضها على طبيب، ولبست ساميه الدور باعتبارها وكيلة الزوج المخلص وطلب المحقق السكوت وفتح لها المجال، كانت تتألق في فستانها الأزرق ودفعت بشيوع الاتهام وأثارت نقطة غائبة: من الذى فتش وداد؟!

فالأنثى، لا تفتشها إلا أنثى، وقوة الضبط معروفة بالاسم. وبالتالي: السكين والموبيل لا يستمد منهما دليل لأن التفتيش أصلاً باطل.. فالقوة كلها من ضابطين وأمين شرطة ومخبرين.. أين الأنثى التي يحق لها القيام بالتفتيش؟! والقاعدة: ما ترتب على الباطل، فهو باطل..

سكتت، ففاق الجميع، ولكن قررت النيابة حبس وداد أربعة أيام على ذمة القضية.

الصبُّ تفضحه عيونه؟!

وعند انصرافنا من النيابة استعذت من الشيطان لوقف صدى الذكريات القديمة. فهل ما حسبته هزلا هو الجد؟! "الحب أوله هزل وآخرة جد"، كما جاء في كتاب طوق الحمامة ، فالأستاذ إبراهيم برغم جراءته طول الوقت عنده تردد في الزواج من "سامية صليب" زميلتنا في المكتب، وهو لم يفاتحها في الموضوع من أساسه، ولكنه كلمني فيه، فهو لديه حسابات منطقية لقبولها يخفيها عني! هو لديه هاجس أن ما تسمح به الشريعة الإسلامية يقدر له الفلاح، فطالما الإسلام يسمح بالزواج من الكتابية، فالموضوع منتهٍ؟! وقلت له: من يسمح للمصريين بالزواج من اليهود؟! قال: في الخمسينات كان هناك وزراء زوجاتهم يهوديات! ولم أهتم؟! وقد طلب مني فيما بعد بحث علاقة النبي (صلعم) بالسيدة مارية القبطية باعتباره لا يقرأ في شيء غير الجرائد والقانون!

(وجدت كتاب الكامل لأبن الأثير، بمنزلنا القديم، فتذكرت الواجب الذى يلح عليَّ به إبراهيم وفى ص 307 من كتاب الكامل لأبن الأثير: (ذكر عدد أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وسراريه وأولاده) قال ابن الكلبى: النبي، تزوج خمس عشرة امرأة ودخل بثلاث عشرة، وجمع بين إحدى عشرة، وتوفى عن تسع، ولم أجد من زوجاته (السيدة مارية)؟! ولكن تحت مسمى: "سراريه" ذكر (مارية ابنة شمعون القبطية، وولدت له إبراهيم، وريحانة ابنة زيد القرظية ولم تلد). ويذكر الكتاب أن من سراريه من أعتقها وتزوجها وهى "صفية بنت حيى بن أخطب". وفى الطبري إيضاح: السيدة مارية القبطية (جارية) أهديت للنبي من مصر مع أختها (سرين) فأبقى عليها ودفع بأختها لشاعره "حسان بن ثابت".. والجارية يحتفظ بها ويختص أذا أنجبت. أما السيدة ريحانة، فهي من ملك اليمين (وقعت في الأسر، فيسرى بها من غير عقد).

ضحكت أدندن: بلغت سن الفاجعة يوم شاخ غضبي. وتحدثنا عما وجدته في كتب التراث عن السيدة (مارية)، فقال: أكثر من خليفة تزوج بنصرانية! ثم أن ساميه من جذور أرمنية، وكنيستهم سمحة في لاهوتها الكنسي، وزواجهم شبيه بالمصريين وإذا وقع طلاق تنطبق الشريعة الإسلامية في النفقة والحضانة والزواج، "ربط كلام"، لا مهر ولا مؤخر!! والأرمن مصريون منذ نزوحهم من تركيا بعد الحرب العالمية الأولى بعد طردهم، لا يحملون سوى الجنسية المصرية.. ولذا أسند الخديوي إسماعيل لنوبار باشا رئاسة الوزراء وهو أرمنلى فهم ليسوا مزدوجي الجنسية؟! قلت: كل الأمثلة الشعبية تحذرنا من النهر المسالم الذي يخدعنا هدوؤه فنعبره، وإذ به يبتلعنا، سامية صليب ذلك العود الصغير الذى لا نحتاط له وإذ هو يعمينا؟

رد: بأنه سيبقيها على مسيحيتها وهو في سن لا يفكر فيه في إنجاب الأولاد!

فهل تعلم سامية بخطط إبراهيم الأحمر نحوها؟

كأن رواية النبطي (ليوسف زيدان) عنها (فهي حكاية امرأة قبطية شابة (مارية)، تلاحق الأحداث والتطورات، من خلال وجهة نظرها، فالراوية تعيرنا حواسها، لنرى ونفهم كل ما يدور من حولها. إن ميزتها تكمن في قوة ملاحظتها ورهافة ذاكرتها. هي امرأة استثنائية، وقد تكون في شخصيتها بعض السلبية، فهي توافق من غير أي اعتراض على زواجها من التاجر (سلومة) الذي يكبرها بأكثر من عشر سنين، وسلومة هذا سكير أحول وأبخر(كريه رائحة الفم) ويفتقر إلى الوسامة والتميز. وترضى بالابتعاد عن أهلها وديارها فقط كي لا يُقال عنها عانس؟!)

فهل السن والزواج السابق سلاح إبراهيم للاستحواذ عليها؟

تقول الراوية: "بي ارتجافاتي، في حضنه فتحت عينيّ المسبلتين، فرأيت عينيه تغوصان فيّ، من فوقي، ومن خلفه بدت أطراف النخلات ورؤوس الأعمدة، بعيدة جداً. كان وحده القريب، اللصيق. لن يمر الآن أحد من هنا. مر ذلك

بخاطري، فغمرتني رغبة تدعوني للذوبان التام والتوحد معه، ومع الأحجار المحيطة، ومع حدود الكون.. وأدركت أن ما يفعله بي، لي، لا له".)

شيء من ذلك المذاق الحلو المفرط في عذوبته تعيش به سامية، فتعتني بجمالها وأناقتها، ونادرا ما فارقتها ابتسامة ود..

خرج الأستاذ إبراهيم ليقول لي: عيب عليك، لقينا جوزها وخد اللي فيه النصيب وسحب دعوى الزنا! فأنا المحامي الحذق المعجون بعفاريت القانون اتفقت مع الزوج المخدوع اتفاق الأفاعي: "ايه رأيك كل زوج يأخذ عياله، ونترك لك (وداد) كما تركتها بعيالك من صلبك؟".. وقلت له: بغير ذلك لن يعترف الآخرون (زوجا وداد) بأولادهما (فالولد للفراش وللعاهر الحجر)! هكذا الشريعة والقانون فالنسب لا يثبت إلا: بالفراش (الزواج الصحيح)، فالولد لصاحب الفراش (وهو الزوج) وللعاهر وهو (الزاني) الرجم بالحجر عقوبة على جريمته، فلتأخذ مبلغا وتتنازل عن

الدعوة، وإلا (ستزيد الطينة بلة) وتدبس بعيال لا تعرفهم وبعدها تطلقها، ولن تطلب منك شيئا لا مؤخر ولا نفقه؟! فكلكم ستتنازلون، فلا يفيدك سجنها وسجنهما، ولكن البوليس سبقني وذهبت سامية للزوج على اتفاقي وتنازل عن القضية!

أقول: وطلقها؟! يرد بفتور: أبدا أحلوت في عنيه وهو راجل عجوز ونخنخ واستسلم لديوان شعر "وداد" الغجري؟! لا يزال يحلم بالبط والوز والقميص المهشك والاسترتش) ولعب دور قديم لإسماعيل يس في فيلم له مع كاميليا حين ضبط عشيق زوجته بالدولاب، فغنى :العفو عند المقدرة.؟.!

أخد ثلاثة الأف جنيه منى ولم يتحرك إلا بخمسمائة أخرى من الأخت سامية، وجه يقول: اتنازل وكفاية اللي هي فيه؟! وكأنه عبد الوارث عسر بعث من جديد. .هي دى دنيا؟! وضحك..

وكان الخبر الرئيسي بالجرائد المسائية: القبض على امرأة التحرير بشقه محامٍ، قتلت عشيقها وألقت الجثة بميدان

التحرير، فحسبه الجميع شهيد ثورة؟! وصورة لـ "وداد قرني"؟!

(4)

نما إلى علمنا:...

هناك علم جديد هو "الأعنف ..أو الكفاح السلمى" وقد تدربنا عليه من المنشور حوله في الميديا فهو معروف ومنتشر في: روسيا وصربيا والهند.. وبابا منعني من السفر للخارج عندما وصلتني دعوات لأتعلمه؟! وهناك "أكاديمية التغيير في مصر" تدرسه مجاناً، وأنا دربت شبابا ثوريا عليه داخل مصر؟! وهناك شباب من 6 أبريل لهم دربوا الشباب الثوري في إسبانيا ؟!" أسماء محفوظ

جذب الانتباه - بمقهى البستان طاولة حولها ثلاث فتيات أجنبيات يدخنَّ النرجيلة ومهتمات بأمر مظاهرات النساء ومع كل واحدة لاب توب، حيث قالت إحداهن بصوت مسموع : ها الزلمة بتخربطون؟

عرفت يومها "ليلا" ناشطة حقوقية لبنانية تعمل في وكالة أخبار فرنسية وتغطى أحداث ما أسمته: ربيع الميادين.

كانت الوحيدة بينهن التي تعرف العربية؟ ترى أن ما يحدث في مصر "حالة ثورية".

أمتد حبل الدردشة حول عمر عفيفي "عقيد الشرطة السابق" في بؤرة الدردشة باعتباره قد سبق له التحدث عما حدث في سفارة إسرائيل. قال البعض: فصلوه لسوء الأخلاق!! وقال آخرون: استقال اعتراضا على تزوير الانتخابات؟! وعرفت من الحوارات أنه: "من مواليد 1963- عمل بالأمن المركزي، ترك مصر في 2009 بعد نشره لكتاب "عشان ما تضربش على قفاك"، ويشاع أنه سافر لقطر وعمل بها؟! ثم سافر لأمريكا وطلب اللجوء السياسي واستقر بواشنطن؟! تاركا زوجة وولدين له بمصر "وقد حصلت زوجته على الطلاق بحكم قضائي؟ ثم تبين أنه عنده غرفة تحكم إلكترونية للاتصالات؟! استطاع منها أن يدخل على جميع البرامج التلفزيونية المصرية ليصنع مداخلة أو يقول نبوءة؟!

قال أحدنا: في برنامج تدخل فيه قال له "بلال فضل" لا أصدق أحدا يتحدث لي من واشنطن؟! ارجع أو اسكت، فلا أنت مفجر الثورة ولا نحن الطابور الخامس لبياناتك. وتتغير الوجوه، وهو مستمر، ليوهمنا بأنه باعث الثورة وموجهها! تلعثَمَتْ فرنسيتي. مع مناقشَة مطولَة بينهن انتهت بسؤالي عن التحرش في مصر؟ قالت "ليلان": وفى عيونها ارتداد الثِّقَة بدلا من الْحيرَة.. التّحَرُّش موجود فِي مدرسَة الْقانون السكسوني وخَاصَّة أمريكا، ولكن فِي فرنسا يقولون النَّصوص كافيَة. فلا شيء (فالفتاة تستطيع أن ترد أي رجل وتستطيع أن تسايره فهي حرة في جميع الأحوال والقضاء الفرنسي كان يرفض الدعاوى باعتبارها دلع أو مياسة بنات) ففرنسا لا تعاقب على التحرش.

قالت فرنسوا: لقد أدخلت مادة جديدة في قانون العقوبات الفرنسي، المادة تقول:" كل من استغل مركزه لإرغام غيره على أن يعطيه منافع جنسية يعاقب بالسجن من سنة إلى عشرة سنوات أو بغرامة 18 ألف يورو أو

بالعقوبتين معا" وعوقب به مدير في الاتصالات وحكم عليه ب3 سنوات حبس، ففي فرنسا حديثا الوضع أفضل من ألمانيا، ولكنه لم يصل لأمريكا، فنحن لا نعاقب على لعب الحواجب، والغمز كالأمريكان.

وأكملت فرنسوا، وهى تبتسم، ابتسامة صفراء لي، وكأنها تتهمني بالتقية والمكر؟! التّحَرُّش يمكن نقله من الْقانون الْجِنَائِي إِلَى الْقَوَانِين ذات الطَّابع الإداري.. ولذا قررت وزيرَة الْمرأَة فِي أَلْمانيا جَعْل هَذَا الْقانون (ضمن قوانين الْعمل والوظيفَة)..وبالتَّالِي فالعقوبَة فيه تأديبيَة، لا جِنَائِيَّة. وبالطَّبْع هَذَا عكس الْوضْع فِي أَمْرِيكَا وفرنسا. وهو ينص على التّحَرُّش الْجِنْسِي بمكان الْعمل ويحمى العمل والعاملات وهو: كلُّ تصرف جِنْسِي مُتَعَمَّد من شأنه أن يجرح مشاعر الْعاملات فِي مكان الْعمل. (لاحِظْ أنه لم ينص على جرح مشاعر الْعامِلين - الذُّكُور-) إذا ما ترتب عليه رفض أو تأفُّف أو خجل النِّساء بالْمُؤَسَّسَة.. مثل: الأقوال الْجِنْسِيَّة، الْمطالبَة بالقيام بتصرفات جنسيَة، الْجنس الخفيف

متمثلا فِي اللَّمَسات الْجَسديَّة، الْملاحظات الْمحتويَة على معان جِنْسِيَّة: كعرْض أو إحضار صور عاريَة بالْمكتب أو مكان الْعمل أو استخدام التّليفون الخاص بالعمل فِي علاقات شديدَة الخُصُوصِيَّة (جِنْسِيَّة).

أسالها: وكَيْف يعلم الْقانون كيف ترفض الْمرأَة؟

تقول: الرَّفض فِي هَذَا الْقانون لا بد أنْ تُعَبِّر عنه الْمرأَة بشكل مادي مثل: أن تتقدم بشكوى مكتوبَة، أو شفهيَّة لصاحب الْعمل، ويجب أن تكون محدَّدَة، أي أن تحدد الْفِعْل ولا تكون شكواها عامَّة، وبعد ذَلِكَ يبقى على صاحب الْعمل أن يمنع هَذَا التّحَرُّش بصورَة عاجِلَة خلال طرق يختار منها وهِيَ: النَّقل – لفت النَّظر، الإنذار – التّحويل إِلَى إدارَة أخرى وطرق الْعقاب الإداري وليس لرئيس الْعمل الْحقُّ فِي غَضِّ الْبصر، أو عقد الصُّلح أو الْحِفْظ، وإنما هذه الخيارات إجبارية.

أسالها: وماذا إذا رضيت الْمرأَة فِي أوَّل الأمر، ثم حدث ما يُعَكِّر الصَّفْو؟!

تقول: هذه الشّكوى تسقط إذا مر أكثر من ثلاثَة شهور على حدوثها حتَّى يستقيم الْعمل ونبعد عن الْكيديَّة فهي تخضع للتقادم.

قامت واقفَة تُسَوِّي شَعْرَها بأناملها تسألني عن صديقي المحامي وتطلب، التعرف عليه - أتذكر (إبراهيم الأحمر) غلق البورصة جعلنا نفترق، فلماذا لا يرد على تليفوناتي له؟ وقد لاح إِبِطُهَا من فُرجَة الْقِطْعَة الْعُليا للتايير كأن قيامها علامة بينهن على الانصراف؟!

تقول:.. excusez moi أعتقد أنه حان الْوقت لننصرف.

أخذتهن بشكل طفولي، وكأَنَّهَا تنتزعهن من الْكراسي، فقد أمسكت بأيديهن وأجبرتهن على الْقيام؟ !

انصرفت للبيت بعدهن بقليل. وقد دعوت نفسى للدخول إلى عالم علياء ماجدة المهدي - لدراسة الظاهرة - التي لا تدعوك فقط لعالمها ولكن تجرك جراً لدنياها - تلك الفتاة التي يبدو من ملامحها، أنها لم تتجاوز السابعة عشر من عمرها، رغم إعلانها أنها تجاوزت العشرين، والتي تُسمي نفسها بعلياء ماجدة المهدي، ما يُدلل على إيمانها واقتناعها بأحقية الأم في أن يحمل أبناؤها اسمها تماماً مثل الأب. يلاحظ أنه سبق لنوال السعداوي وابنتها من بعدها منى حلمي الدعوة والكتابة عن ذلك - رجوعا إلى العصور الأممية التي كسرت فيها تابوهاً أكبر من "تابوه الجسد"؟! ومع اللاب توب وفناجين القهوة والدخان تبين لي[8] هلالها؟

---

[8] أنها لها مدونة منذ عام 2008- تنشر صورها عارية مع الصور تكتب بضعة سطور قليلة تقول فيها: "حاكموا الموديلز العراة الذين عملوا في كلية الفنون الجميلة حتي أوائل السبعينيات و اخفوا كتب الفن وكسروا التماثيل العارية الأثرية، ثم اخلعوا ملابسكم وانظروا إلى أنفسكم في المرآة واحرقوا أجسادكم التي تحتقروها لتتخلصوا من عقدكم إلى الأبد قبل أن توجهوا لي إهاناتكم العنصرية أو تنكروا حريتي في التعبير. بمجرد أن ننزل ببصرنا قليلاً نحو التعليقات الصادرة من زائري المدونة سنجد كثيراً من السباب - لعلياء وبعيداً عن جسدها، الذي علق أحدهم عليه، بأنه ليس بالجميل الذي يستحق أن يتعرى! قائلاً في تعليقه: "إيه القرف ده؟! تقول علياء: "أشعر بأن الأرض تهتز, عندما تُلام فتاة على تعرضها للتحرش أو الاغتصاب وهي لها حق و ليس عليها ذنب! الأنثى إنسانة لديها الكثير لتنجزه في حياتها ولديها مشاعر يجب احترامها وليست كيس صابون عشان تبقي ضاعت للأبد لو تعرضت للاغتصاب أو حتي لو أحبت! يقولون إن من لا ترتدي الملابس التي يرونها "محتشمة" (اللي هتوصل بعد كده للخرسانة المسلحة) تستاهل اللي يجرالها.. إحنا مش أجساد متحركة، إحنا بشر.. إحنا مش أقل من البلاد المتحضرة اللي الناس فيها بتحترم بعض والقوانين فيها بتحاسب الجناة!

أفتح الميل أجد رسالة من فرنسوا قالت فيها: "إنها حاولت إجراء اتصال مع المهدي، لكنها لم تنجح في ذلك، وأن هذا يكاد يكون مستحيلا، فبعثت لها رسالة إلكترونية، ورأيت أنهم أغلقوا صفحتيها على فيسبوك وتويتر. هم يريدون إسقاطها ونحن نريد رفعها إلى الأعلى من أجل أن نقول لها إن هناك مجموعات تدعمها. أيمكنك المساعدة؟ فهي لاتزال بالقاهرة."

أحدث نفسى: يادي علياء المهدي؟!.. أبحث عنها في اللاب توب، أجد حوارا أدلت به لقناة CNN الأمريكية - تقول فيه: إن الصورة التي نشرتها كانت مجرد تعبير عن

والغريب أعلنت مجموعة من النساء الإسرائيليات دعمهن لعلياء "خلعت 14 امرأة إسرائيلية ثيابهن وتصورن عاريات تضامنا مع المدونة علياء المهدي وقد تم إخفاء أعضائهن الجنسية خلف لافتة كبيرة كتب عليها بالعربية والعبرية "حب بدون حدود" وبالإنجليزية تكريما لعلياء المهدي- الأخوات من إسرائيل" وأفادت وسائل إعلام إسرائيلية بأن الناشطة الاجتماعية الإسرائيلية" أور تيبلير" بادرت إلى دعوة نساء إسرائيليات للتضامن مع الشابة المصرية. وقالت تيبلير لموقع "يديعوت أحرونوت" الالكتروني إنها فتحت صفحة على فيسبوك تحت عنوان : أيتها النساء اتحدن! صورة جماعية لنساء إسرائيليات تضامنا مع أليا (أي علياء) وكتبت تيبلير في صفحة "فيسبوك" :أيتها النساء العزيزات، أشعر أنه لدينا فرصة مضاعفة للقيام بعمل ما، أن نظهر دعما بصورة غير عنيفة وشرعية لإمرأة هي مثلنا تماما، شابة، طموحة، مليئة بالأحلام وعلى ما يبدو أن لديها حسا مرحا أيضا. ولنظهر للمشككين بأن حوارنا الدولي ليس مرتبطا بالحكومات. وقالت تيبلير أثار غضبي أن هناك ربع مليون تعليق من الشتائم والتهديدات بالقتل، شعرت أن امرأة ليبرالية ومتنورة في القاهرة لا يمكنها التعبير عن نفسها وتتلقى تهديدات من دولتها وشعرت بالحاجة للتعبير عن التضامن!

أنوثتها، حيث ترى أن جسدها يعبر بشكل جيد عن أنوثتها، وأن الجسد البشري أفضل تمثيل فني، وقالت: لا شأن لي بالسياسة، شاركت للمرة الأولى في احتجاجات التحرير واستمريت حتى 27 \2 وطردوني بقسوة من الميدان، في محاولة منهم لاستثمار ردة الفعل على الصورة، وقالت: ما أدهشني هو بيان "6 أبريل" وتوضحيهم بأنى لست جزءًا من الحركة، وأنهم لا يقبلون "ملحدين" في صفوفها! أين الديمقراطية والليبرالية التي يزعمونها؟ إنهم يطرحون ما يريد الشعب سماعه لتحقيق طموحاتهم السياسية؟!

ارتبك.. تفكيري حين نشرت منظمة فيمن (femen) النسوية الأوكرانية على موقعها الإلكتروني صورا لـ "علياء المهدي" عارية أمام مبنى السفارة المصرية في العاصمة السويدية ستوكهولم. لنعلم أنها عضوة نشطة بالمنظمة؟! هي تدربت أيضاً في منظمة؟ ومرة أخرى تظهر علياء، عارية الجسد مع (فتيات إيرانيات وقفن ضد الحجاب)؟! ومرة ثالثة تظهر عارية وقد كتبت علياء على جسدها بالإنكليزية

"الشريعة ليست الدستور" وإلى جانبها وقفت فتاتان عاريتان فكتبت إحداهن على جسدها "لا للإسلاميين نعم للعلمانية" فيما كتبت الأخرى "نهاية العالم مع الدين".. وفي صورة أخرى، حملت علياء علم مصر وقامت مع زميلاتها بتغطية أعضائهن التناسلية بمجسمات تحاكي الكتب السماوية الثلاثة، كما حملن لافتات كتب عليها "لا للدين" و"الدين هو عبودية"؟!

أفكر في مقاطعة الفاتنات الثلاثة.. ولكن لماذا لا أبقي على ليلان؟ التي تملك وجها صبوحا وعيونا عميقة وتتودد إليَّ بروحها، إن لهجتها باللبناني أو الفر نساوي تدغدغني؟ أدخل على الموقع الإلكتروني ل (femen) النسوية الأوكرانية وفي مقابلة مع مراسل" ار بي كي ديلي" قالت العضوة في حركة فيمين "اينا شيفيتشينكو" الهاربة في فرنسا من وجه العدالة الأوكرانية إن أنصار الحركة النسوية الأوكرانية يحضِّرن لثورة فيمينية تدهش العالم. ووفقاً لأقوالها يتم تدريب العضوات في الحركة في "مركز

التدريب الأوروبي في باريس" حيث تأتي الناشطات من مختلف البلدان إلى هناك، ليتعلمن الخبرات العملية للمنظمة، المتراكمة على مدى خمس سنوات. بما في ذلك التدريب البدني. وقالت: حيث تكون النسوية يتوقف الدين، فكل الأديان ضد المرأة؟ وتضيف اينا: "نحن نتدرب على خلع الملابس أثناء الحملات، لاسيما أن الجسد الأنثوي العاري كان دائماً أداة في يد السلطة الأبوية، التي تعمل دائماً للرجال. عندما نخرج للاحتجاج، ونحن نخلع القمصان، ينظرون إلينا برغبة كما هو الحال دائماً، وبعد ذلك يشاهد الناس كيف يصرخ الجسد عبر رسالة سياسية موجهة للمجتمع كي يعتمد فهماً جديداً للمرأة؟

روايات الثورة:

اسمع صوت كلاكس سيارة فلا أهتمّ، يأتي صراخ (الانتركم): يا أستاذ الندوة بعد ساعة؟

أتناول حبة الضغط على عجل وأدس نفسى في جينز أزرق وقميص، أحمل (الاى- باد) محملاً عليه الروايات الإلكترونية (المشتركة في الندوة) وأمرق لندوة "الروايات وثورة 25 يناير". كانت دار "كتابات جديدة" أعلنت عن مسابقه للرواية الإلكترونية، تكون جائزتها النشر الورقي للأعمال الثلاثة الأولى الفائزة تحت رعاية رأسمالي مصري داهيه لم يكفه المال والأعمال، فقفز للثقافة، بعد أن أسس حزبا بعد الثورة، مستغلاً فوضى الحواس والتوازنات. وجدت بالسيارة الناقد الكبير وال د (ش أ ل) أستاذة الأدب والتي كان لها صولات في جائزة "البوكر" للروايات العربية.. وبدا لي أنهما غير مقتنعين بإدارتي للندوة!

تخلق الروايات الثورة من جديد، وكتابها يختارون أجزاء من رواياتهم للقراءة:

رواية (): [وفى مناهدة إغريقية الإيقاع سريعة الحدث استمر فيها الجديد كل ثانية لمدة 18 يوما تروى الروايات (فتحت السجون، وظهر الشبيحة "البلطجية" وحرقت أقسام الشرطة؟! وبدا وكأن فوضى الثورة الفرنسية يعاد طباعتها للمرة الثانية بكل قسوتها وطولها، وحدثت الأحداث المروعة سرقات السيارات وخطف للبنات وعشنا في غياب الدولة؟! كان الناس يتصرفون، وكأنهم في رواية من روايات "الفتوات" لنجيب محفوظ، يدفعون الحلوان للبلطجة لضمان الأمان؟ ألهذا شكسبير يجعل الخروج على الملك نذيرا للخراب، فيَقرُنه بالطبيعة الْغاضبَة والْمذهلَة، وبظهور شرورها كَرَدٍّ فعل ضد شر الإنسان ويعبر عن ذَلِكَ بالسحرَة والنُّبوءة وانتشار البوم؟]

رواية () [وأعجب ما أتى به المشهد كان "الإسلام السياسي"؟! الإخوان والسلفيون انطلقوا كرصاصة خرجت

من القرن السابع واستقرت بضفاف النيل في القرن الحادي والعشرين بالتحرير وميادين المحافظات، أين كانوا ومن أي مكان خرجوا؟ جريدة الديلي تليجراف تقول: حصلوا على تنازلات من المجلس العسكري. ولا تهمهم مصالح مصر! والنيويورك تايمز: الإخوان يبحثون عن مكان لا يستحقونه في الميدان! (الأمن يغلق جامع عمر مكرم وإمام جامع "عباد الرحمن" يصف المتظاهرين بالخارجين عن الشرع، فنانون يقودون مظاهرة في شارع جامعة الدول العربية، والممثل "خالد النبوي" يقول: لن نسمح للإخوان بحكم مصر؟! (بي بي سي) اعتقال صحفيين أجانب في وسط القاهرة، والشباب يطرد من الميدان المذيع "عمرو أديب" بسبب اتهامه لهم بالتظاهر بوجبة من كنتاكي)

رواية () [وعلى الطريقة التونسية وعد الرئيس بعدم الترشح للرئاسة مستقبلا ووعد بإصلاحات دستورية بدأ في تنفيذها بنسف حلم التوريث وقال بعض الشيوخ: "الريس فعل ما يجب"؟! فقد لعبها مبارك على طريقة (هوبز) الفقيه

السياسي الفرنسي، "فهو يرى أن المواطنين اتفقوا مع أنفسهم على تنصيب حاكم، من أجل أمنهم والسهر على مصالحهم، وبالتالي فللحاكم سلطة مطلقة ليحقق ذلك، وليس لهم حق الثورة عليه أو معارضته، وإنما اختيار غيره عند نهاية مدته؟!" إن مبارك يريد الشهور الباقية من المدة؟ إنه ليس طرفاً في العقد! فما كان بين المواطنين وإلا سينتقم الشغب لأن ما حدث يجب أن يحدث بهم جميعاً. وليس ببعض ولو اعتقدوا أنهم ثوار؟! ولكن الميدان لم يستجب، الأمر قد تأخر؟! وظهر حشد الإخوان والسلفيين وانحشروا في الشباب الساخط وسقف مطالب الشعب وصل للسماء، فالميدان اعتنق فلسفة (روسو) وهو فقيه فرنسي آخر يرى "بأن الحاكم وكيل عن الشعب، وبالتالي يجوز للشعب أن ينهى وكالة حاكمه في أي وقت شاء.. ولو في وقت الرغد، وليس كما مبارك وقت الفساد واللامبالاة"].

يتنازع الندوة رأيان، الأول: يرى أنه لم يأت بعد وقت الروايات التي تحكى عن الثورة، فلم يتبن الخيط الأبيض من

الخيط الأسود بعد، ولكن الكتاب لهم رأى أخر. لقد نزلوا الميادين وشاركوا وعرفوا فلماذا لا يكتبون؟! ويقول الناقد الكبير: أنتم كتاب جيدون، ولكنكم حولتم الجرنال لأدب، لم تملكوا الموضوع ولا الحبكة، ولا البناء الروائي. فالملحن الجيد لا يلحن أوراق الجرائد؟!كل ما فعلتموه توثيق مخل؟

أعلنت عن استراحة لمادة نصف ساعة نجتمع بعدها، ونناقش الأمر: هل نستمر أم نفض الندوة؟ وأجريت اتصالا بـ "خليل الغمري" صاحب كتابات جديدة الذى أفهمني أنني عليَّ أن أنسق مع د (ش أ ل) أستاذة الأدب، وأن تكون عيني عليها، فهي المتفردة بالقرار والباقي كمبارس..! قابلتني الـ د (ش أ ل). قالت: تصرفك بفكرة الاستراحة أعجب الراجل الكبير، وطلبت منى الاستمرار في إدارة النقاش، سألتني عن معلوماتي عن الروايات، وعرفتْ أنى قرأتها كلها.. قالت: إيه أحلى رواية؟! قلت: رواية "مسك الختام" كتبتها أنثى وتعتبر الثورة بسبب الأغذية الفاسدة التي غذانا بها نظام مبارك، عن طريق السماد المسرطن، واستيراد القمح الرخيص منزوع

الصلاحية استغربت. فتحت اللابتوب.. واطلعت على الرواية. استغرقت لدقائق وهى تلعب على زراير اللاب .. تأتى على أول الرواية وتمضى لآخرها وكأنها تفرها؟؟

قالت: إن صاحبتها دكتورة علم نفس وترى هياج الميادين سببه مرض الجمهور ذو المنشأ النفسي (الهستيريا الجماعية) والذى يرجع للتسمم بفطر أرغوت (مرض يصيب القمح) أو لتلوث الطعام بالكيماويات - قد تكون الحل؟!

قلت لا أفهم؟!..

لم تعلق ..!

عادت للمنصة، وعاد الجميع معها، وكأن الأمر عودة على بدء.. بدأت في محاضرة: إنها الرواية– الوحش الجميل- التي اجتاحت الأجناس السردية واستحوذت عليها مستعينة بما لها في جوهرها من روح تسلط وهيمنة مكنتها من أن تذيب الجميع في إهابها.. إنها الرواية آكلة الأجناس، غوايتها تأكلنا وتهضمنا، وتفضحنا وتقيم جحيمنا.. جنس آكل لغيره

من الأجناس يقد ثوبه من خيوط غيره. لا شيء يمنعه من أن يكون بحسب مشيئته حكاية أو تاريخا أو خرافة أو وقائع أو غزلية. لا أحد يمنعه من الكذب علينا فهو بطبعة بين التصديق والخيال. الرواية من جهة أخرى جنس طرى العود يفتح صدره لسائر الأجناس ويستضيفها ويحاورها ويبني بحجارتها بيته، فعلينا عدم المقاومة! قانون الرواية يخترق كل القوانين، كما يقول ماركيز. الرواية جنس عصىً على الحد، إنها جنس بلا قانون .. بل وطفيلي، إذ لا شيء يمنعه من أن يوظف لغاياته الوصف والسرد والمسرح فـ \"حنان الشيخ\" تأخذها غواية الرواية لحد فضح سيرة أمها، تقول عنها: كانت في وقت واحد مع رجلين أحدهما أبويا !! إنها غواية الكتابة فهل يمكن ارتكاب جرائم حبرية عن قصد أو غير قصد. ونقول قدر سردي أحمق الخطى؟! فهل ترى ذلك د. أسماء في روايتها "مسك الختام"؟!

وقفت "أسماء" وأعطيت مايك، وتحدثت عن روايتها:

(الهستيريا الجماعية يستخدم عادة هذا المصطلح من الإعلام وعامة الناس لوصف حالة تحوز اهتمامَ طيفٍ كبير من أطياف المجتمع حيث تستخدم لوصف موجة من المشاكل الطبية التي تشيع بين الناس كرد فعل على تقارير إخبارية، وأحسن مثال على ذلك إنفلونزا الخنازير، وتستخدم كذلك للإشارة إلى أي نوع من ظواهر الموجة العامة التي تأخذ اهتمام عامة الناس كمباراة كرة قدم مهمة وأحسن مثال على ذلك مباراة الجزائر مع مصر خلال تصفيات كأس العالم أو خلال مجريات الأولمبياد أو كأس العالم أو مسلسل يتابعه الجميع كما حصل في الوطن العربي عند بث المسلسل التركي مهند و نور.. ففي يوليو 1518 حدثت حالة من هوس الرقص في ستراسبورغ في فرنسا حيث ذهب الكثير من الناس إلى الشوارع وبدأوا يرقصون دون راحة وفي غضون شهر انضم ما لا يقل عن 400 شخص في الرقص. بدلا من تقديم سبل العلاج لهم، شجعت السلطات على المزيد من الرقص حيث تم فتح مقرين من النقابات وسوقا كان للحبوب

بهدف توفير مساحة لمزيد من الراقصين، حتى أنهم أقاموا خشبة مسرح لهذا الغرض، والسبب الذي دعا السلطات لذلك ناجم عن ظنهم بأن الراقصين سيتعافون فقط إن استمروا برقصهم ليلا ونهارا. لكن في نهاية الأمر مات معظم هؤلاء الناس نتيجة لنوبات قلبية أو سكتات دماغية أو من الإرهاق. ويعتقد في السنوات الأخيرة أن مرض الجمهور ذا المنشأ النفسي psychoge mass publi)) سببه التسمم بفطر ارغوت، مرض يصيب الحنطة، أي القمح) هذه حقائق حكمت تفكيري وأنا أكتب الرواية، فقد كانت بالشوارع موجة من الهياج تزداد، وينضم لها متفرجون، سرعان ما يتأثرون ويدخلون في منظومة زخم الهياج!)

انفعل الناقد الكبير وقال: إنها ليست مسك الختام، بل تدشين للفوضى الخلاقة في الرواية، فيكون ممارسة حيل النصب في الرواية "مباحا"، فعن طريق النصب بعلوم النفسي دشنت الكاتبة لعداء وازدراء باطني غير مباشر للثورة لتهرب عند الحساب بأنها رواية، سرد زادُه الخيال؟

أسوأ أشكال الرواية (أدبًا) بثّ منشوراتٍ ومخطوطاتٍ طائفيّةً أو دينيّةً أو أيديولوجية، تحت أيّ توجّه. وبذاك فإن ما لا يجرؤ بعض الكتاب على أن يمرّروه من خلال كتبٍ باتوا يَزُجُّونه من خلال روايات منذ "أولاد حارتنا" لمحفوظ؛ لكي يقول أحدهم ــ حين يُساءل ــ أنا بريء، لستُ أقصد شيئًا، إنما كنت أكتب رواية!

(5)

رغم أنني أشعر ببعض النعاس إلا أن إشكالية مرافعة الديب، محامى الرئيس السابق محمد حسنى مبارك وابنيه علاء وجمال - أصابتني في الصميم - بدت مثيرة ومن العيار الثقيل "مؤكداً أن مجلس الشعب كان ولايزال قائماً في وقت تنحي مبارك، وكان لابد من توجيه الاستقالة إلى مجلس الشعب وذلك طبقاً لنص الدستور، ولكنه لم يستقل وإنما أبلغ نائبه اللواء عمر سليمان تليفونياً بتخليه عن سلطاته، فلا يوجد رئيس جمهورية يستقيل بمكالمة تليفون؟

"كما أنه طبقا للبيان كلف المجلس الأعلى للقوات المسلحة بإدارة شئون البلاد وليس التصرف فيها. وأشار الديب إلى أن الإعلان الدستوري الذى أصدره المجلس الأعلى للقوات المسلحة في 13 فبراير الماضي وأصدر قرارا بتعطيل الدستور وحل مجلس الشعب خارج عن سلطات المجلس الأعلى للقوات المسلحة، ولا يملك تلك السلطات ولا يملكها إلا رئيس الجمهورية، الذى كلف الجيش

بإدارة البلاد بالحالة التي كانت عليها وقت التفويض من الرئيس؟! حيث يعاقب القانون في نص المادة 86 من قانون العقوبات كل من يقوم بتعطيل الدستور. مؤكدا على أن مبارك أعطاهم سلطة إدارة البلاد وليس التصرف فيها ولا يجوز لهم تعديل الدستور!.. وقال: "المنشور في جريدة الوقائع المصرية الرسمية يؤكد كلامي، فالتنحي المزعوم منشور تحت عنوان (خطاب من نائب الرئيس عمر سليمان إلى المشير حسين طنطاوي.. ثم نص الخطاب .. وموقَّع من عمر سليمان؟" مؤكداً أن مبارك لايزال رئيساً للجمهورية حتى وقتنا هذا بحكم القانون أيضاً، في إشارة ضمنية بأن أمر التنحي كأن لم يكن. وفنَّد الديب دفاعه قائلاً: إن المادة 85 من دستور 1971 نصت على أن مجلس الشعب له الحق في محاكمة رئيس الجمهورية بتهمة الخيانة العظمى، أو بجريمة أخرى بشرط أغلبية ثلثي البرلمان، ويكون نظر القضية أمام محكمة خاصة، وتشكل من 12 عضواً نصفهم من أعضاء مجلس الشعب، والنصف الآخر من أقدم المستشارين في

الهيئات القضائية، ويتولى النائب العام المرافعة أمام هذه القضية، ويكون مقره محكمة النقض، ومن ثم يعني ذلك بطلان جميع تحقيقات النيابة، وأمرِ الإحالة الصادر منها؟ وأضاف الديب، إنني أدرك تماماً أننا أمام محكمة قضائية عليا تحتوي وتحمي القانون، وليس كما يستقر في أذهان ومعتقدات الناس ومفاهيمهم الخاطئة، ليفجر المفاجأة المدهشة: "حسنى مبارك مازال يتمتع بصفته رئيساً للجمهورية طبقا للدستور؟! مبارك لا يزال الرئيس الفعلي للبلاد، بحكم القانون، حيث تم انتخابه في انتخابات 2005 لمدة 6 سنوات تنتهى بنهاية 2011، مما يعنى أن التحقيق معه باطل لكونه رئيساً للجمهورية، ولما كانت المادة 78 من الدستور تشير إلى أن رئيس الجمهورية المنتهية ولايته وفترته الانتخابية، يظل يمارس مهامه حتى يتم انتخاب رئيس جديد للبلاد، وهو ما لم يحدث حتى الآن.. وأوضح الديب أن عددا من وسائل الإعلام وإحدى الصحف نقلت تصريحات للواء سيد هاشم المدعى العام العسكري السابق

التي ذكر فيها أن تصديق القانون العسكري وإحالة مبارك للقضاء العسكري غير جائز قانونيا. ووصف الديب هذا الكلام بغير الحقيقي مستشهداً بقضية (الحمام الأوليمبي المتهم فيها اللواء سمير فرج محافظ الأقصر السابق ورئيس إدارة الشئون المعنوية بالقوات المسلحة سابقاً، والدكتور أحمد نظيف رئيس الوزراء الأسبق، اللذين أحالتهما نيابة الأموال العامة إلى القضاء العسكري، نظراً لوجود إحدى الشخصيات العسكرية في القضية ورغم اتهامه بعد خروجه من القوات المسلحة وتوليه وظيفه مدنية.)

وبدأ الديب مرافعته معتقدا أنه أمام قاضي قصة ‹‹فزاع طيور آخر››، وهى قصة من مجموعة غادة السمان: ‹‹ليل الغرباء››. (فهي حكاية قاضٍ لا يستطيع أن يتبين الحقيقة أو العدالة. حجج هنا ودفاعات هناك.. ولذا فإنه لم يكن يصدر الأحكام انطلاقاً من حيثيات المحاكمة، لم يكن يرضيه أن يحكم إلا باليقين؟! ولأنه نادرا ما يتحقق اليقين معه، كان يختلي بنفسه ليلقي بقطعة نقود في الهواء، على أحد وجهيها،

كُتِبَ «بريء» وعلى الوجه الآخر «مذنب». والصدفة تقرر مصير أي متهم. فهو يؤمن بالصدفة، يعتقد أن الصدفة هي إله العالم. فلأن الله موجود و مبالٍ بخلقة، فالصدفة تحكم العالم لأنها مشيئة الرب الموقعة.)

الديب يحاول أن يُيَئِّسَ القاضي فيما بين يديه من أوراق، فيصل للشك والشك يفسر لصالح المتهم.. فإذا كان يريد اليقين، فليرمي بالنرد أو يسأل الغيب أو يبحث عن قطعة نقود معدنية يلقيها في الهواء منتظراً مشيئة الرب!! قائلاً: إنه كعادة النيابة تريد الزج باسم مبارك في أي قضية دون أساس أو سند قانوني، وفى 23 أبريل 2011 أحالت نيابة أمن الدولة العليا القضية 1061 والمتهم فيها المهندس سامح فهمى وزير البترول الأسبق وآخرين بتهمة تصدير الغاز لإسرائيل والإضرار العمدى بالمال العام، وتابع: "القضية خلصت واتحالت ومحدش جاب سيرة مبارك ولا حتى سألوه، مما يعنى أن التهم المنسوبة إليه غير جدية"، لكننا فوجئنا بعد ذلك بقيام النيابة بالتحقيق معه بنفس الأوراق

والاتهامات والشهود، في القضية اللي فاتت، مما يدل على تخبط النيابة العامة أنها لم تكن تقف على أرض صلبة، وهى تحقق في القضية. وأضاف الديب أن في أولى محاضر استجوابات الرئيس السابق المؤرخة بتاريخ 12 أبريل 2011 في الصفحة الثالثة، وجهت النيابة لمبارك تهمتين لا تجتمعان هما الإضرار العمدى وغير العمدى بالمال العام، وفى نهاية محاضر الاستجوابات في شهر مايو الماضي لم يوجه إلى مبارك أي اتهام بالإضرار أساساً، وإنما وجهت إليه تهمة غريبة جداً وهى تسفير الغير وتربيحهم من خلال التفاوض مع دولة أجنبية والإضرار بالمصالح الوطنية المصرية، ووجه الديب حديثه للنيابة قائلا: "القضية كلها مبنية على تحريات العقيد طارق مرزوق بمباحث الأموال العامة (الكذاب) اللي عمل قضية فيلات علاء وجمال وميعرفش هما فين أصلاً، وفى حد يشتغل قانون يوجه تهم بناءً على تحريات خرساء وعوجاء بدون أي دليل". وكشف الديب أن المخابرات العامة المصرية هي المسئولة عن

تصدير وتعديل أسعار الغاز لإسرائيل وليس مبارك، موضحاً أن اللواء عمر سليمان رئيس جهاز المخابرات ونائب رئيس الجمهورية السابق ذكر في شهادته أمام المحكمة في سبتمبر الماضي، أن مبارك لم يتدخل في تسعير الغاز أو أي شيء آخر، لأن الجهة التي تحدد السعر هي هيئة فنية مختصة بوزارة البترول، وليس أيضاً الوزير نفسه، مضيفاً أن مبارك طلب منه في يوم من الأيام أن يسافر إلى إسرائيل وأن يطلب تعديل سعر الغاز من شركة كهرباء إسرائيل وفقا للأسعار العالمية، وأنه في حالة عدم الاستجابة لذلك سيتم وقف تصدير الغاز لإسرائيل وهو ما حدث بالفعل، حيث تمت مضاعفة أسعار الغاز وتعديل العقود لترشح أن المراجعة كل ثلاث سنوات وليس كل 15 سنة حسبما كان مذكورا، وأن هذه الأمور الفنية الخاصة بأسعار الغاز لم تعرض على مبارك في الأساس .

قلت: صدق (مونتسكيو).. من قال إن القاضي يحقق العدالة ؟!..هو فقط يطبق القانون ...

قررت أن استعين بالقهوة مع السيجارة ال 100 لأجوس في دهاليز "القانون" الذى بدا متناقضا بين فرعي القانون الجنائي والدستوري لحد القطيعة، محاولاً تجاهل شاحنة القمامة التي تأتى بزعيقها المزعج كل ليلة في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل..

الأن بكل تواطؤ استسلم للإغواء، يقول مذيع قناة ال (bbc): وحتى يكتمل المشهد المأسوي نعرض عليكم آراء فقهاء القانون الدستوري وجاءت الفتوى العجيبة [الشرعية الدستورية لا تسري إلا إذا تسلم الثوار الأمر وحدث التمكين لهم وهنا يسقط الدستور؟]

رد ياسر سيد أحمد المحامي على تمسك فريد الديب محامى مبارك بدستور 71 والمادة 86 منه التي توضح أن محاكمة رئيس الجمهورية يجب أن تكون من محكمة خاصة وليست محكمة عادية بأن هذا الدفع الذى يثير به مشاعر المصريين قبل ذكرى 25 يناير بقوله إن مبارك مازال رئيسا للجمهورية، وإن إجراءات المحكمة باطلة، بأن هناك حكما

صادرا من المحكمة الدستورية العليا منذ أربعة أيام فقط بعدم دستورية التعديلات الدستورية الخاصة بانتخابات رئيس الجمهورية لعام 2005م والذى تم انتخاب مبارك على أساسها وبالتالي فإن انتخابات الرئاسة باطلة، وأن مبارك ليس رئيسا للجمهورية منذ عام 2005؟! كما أكد أن الاستفتاء الذى قام به الشعب المصري في مارس الماضي، كان على أساس تعديلات دستورية من الشعب المصري، وبالتالي فهناك تعطيل لدستور 71 بقوة شرعية الشعوب..

كما وصف تامر جمعة المحامي الدفع الذى أبداه فريد الديب محامى مبارك ونجليه بأن الرئيس مازال يحكم البلاد هو دفع مردود عليه بأن إرادة الشعب هي التي خلعته من حكم البلاد، وأن المجلس الأعلى للقوات المسلحة حصل على شرعيته من قول الشعب يوم 28 يناير "الجيش والشعب ايد واحدة"، وبذلك حصل الجيش على الشرعية الثورية.. وتدخل متحدث ليقول إن مرافعة الديب فكرته بالقذافي في أيامه الأخيرة حين خرج يصرخ في الثوار بالقانون العقابي

الليبي ويردد: من يخرج على النظام يعدم! من يخرب يعدم! من أنتم سنطاردكم ونقضى عليكم ..حارة حارة، زنقة زنقة؟

استيقظ لأجدني ممدداً على الأرض في مواجهة التلفاز ويدى اليمنى معلقه بمكتبتي وأسقطت بعض الكتب التي غطتني حتى الصباح، أزيح عنى كتابا ثقيلا فينقلب مفتوحاً على نص في بدايته [وإذا بباب القصر قد فتح وخرجت منه عشرون جارية وعشرون عبدًا وامرأة أخيه تمشي بينهم وهي غاية في الحسن والجمال حتى وصلوا إلى فسقية وخلعوا ثيابهم وجلسوا مع بعضهم وإذا بامرأة الملك قالت: يا مسعود فجاءها عبد أسود فعانقها وعانقته وواقعها وكذلك باقي العبيد فعلوا بالجواري ولم يزالوا في بوس وعناق ونحو ذلك حتى ولى النهار.] كان الكتاب الثقيل ألف ليلة وليلة.

(أوراق نجمة.. روايتها؟)

وصلتني روايتها بالبريد، عدت للغلاف فعرفت اسم الرواية "كاب وجلباب" .. وجدت على الصفحة الأولى، إهداء محايدا باسمي كتبتْه بخطها الرشيق:

[إلى من زوَّر قصة (شهرزاد) لصالح شهريار. أي شهريار؟!]

وفى قاع الجيب كانت رسائلي، ذاكرتي أو ذاكرتها معي، فلم تعرف إن كانت أيامى أم أيامها، فتفجرت الرواية تماما كما حدث مع "غادة السمان" وجدت رسائل غسان كنفاني فلم تقاوم وكتبت كتاباً، في هذه اللحظة لم تتذكر غادة إن كان لها عند غسان ذاكرة أم رسائل؟ نسيت غادة رسائلها وضعفها! فكان كتابها عن غسان وضعفه وسقوطه عند قدميها.. رفصته كمهرة هائجة وهو يغسل أصابعها بماء الورد! فراح يزيد ماء الورد ريحاًنا.؟

أعود لروايتها، اقرأ ضعفي ومهانتي. أسوأ ما في الحب هذا الكم الكبير الذى تنشره من ذاتك؟! ففي روايتها اكتشفت مسدسها المخبأ بين ثنايا ثيابها النسائية! أقلب صفحات روايتها، المكتوبة عن ذاكرة رجل وأستسلم لفكرة غبية، أفكر أن أرسل لها نسخة من كتاب "رسائل غسان كنفاني لغادة السمان"

احتلْتُ حيلة من "خليل صويلح" - قرأتها عنه في روايته "وراق الحب" فهو يهدى الروايات للبنات ويحدد شعوره تجاههن بوضع خطوط فسفورية تحت عبارات داخل الرواية ويعتبر نفسه أرسل رسالة! وحجته أنه لا يعرف "أغبياء من النساء"؟! كان يريد استمالة الفتيات بحيلة أنيقة! "تيمنا بما فعله هنري ميللر في روايته (مدار الجدي) :(أهدى الرواية لزميلته في العمل وحين التقاها في المصعد، حاول تقبيلها لاختصار المسافات والزمن، كان على قناعة أنها التقطت الطعم، لكنها صفعته) - لكنه لم يعدل عن الأمر، فالخطة تنجح أحيانا كلياً أو جزئياً!

أنا أريد البعاد؟ فماذا لو وضعت خطوط فسفورية تحت العبارات الموجعة من كتاب "رسائل غسان كنفاني لغادة السمان" ثم أرسل لها النسخة ذات الخطوط الفسفورية الموجعة؟ أيكون تحقق المراد؟

إنها تستدعي معي قصة "غادة السمان وغسان كنفاني" بفقهها الجديد، فقه مفرداته: الحب ليس ملكية لا خروج منها ولكن يمكن الخروج!! الحب ليس قدراً أبديا، ولكنه بدعة إنسانيه، فهو ليس عباءة يلبسنا الله أكتافها، وإنما مقادير مؤقتة للزمان والمكان! فلا شيء له الدوام إلا وجه الله. تقول في روايتها: تتجاذبني رغبتان: الإفصاح وعدمه في الوقت نفسه، وفي كل الحالات لابد من الإقرار بصعوبة الوقوع على صدق، إذ ليس هناك شيء اسمه حرية التعبير بالمطلق أثناء الكتابة، فهناك دائماً ما يقيد الكلام ويوجهه .

لذلك لا عجب إن رأينا حتى فيلسوف الحرية (جان بول سارتر) يقول: "لقد حان الوقت لكي أقول الحقيقة أخيراً، ولا يمكن أن أقولها إلا في عمل تخييلي"؛ فمما لا شك فيه أن

الكتابة عن الذات تتطلب بالضرورة كتابة عن الآخر. والحال كما يقول أندريه موروا في كتابه (فن التراجم والسيرة الذاتية) إننا "..إذا قررنا أن نقول كل شيء عن حياتنا، فنحن لا نملك الحق في أن نقرر أن نقول كل شيء عن حياة الآخرين"، بل إن إحساساً بالمسؤولية قد يفرض نفسه من حيث وجوب حماية أولئك الذين رافقونا، أو ارتبطوا ارتباطاً مباشراً بالأحداث من خلال صلتهم بنا. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الأديب يعطي لقارئه ما يظن أنه النصيب الحقيقي له، فتكون العملية الانتقائية محكومة في كثير من الأحيان برغبة في الصون من الابتذال؛ ففتح خزانة الحياة كلها وفقاً لتعبير فدوى طوقان "نبش الخصوصيات ليس بالأمر الهين".

فلماذا اختارت لروايتها رجلاً كنت أعرفه من سمرته، من أنفاسه، من اشتهائه الفاضح لها؟!! فقد كنت أراه كلما نظرت لنفسي في المرايا؟ !

تقول: أحياناً..

أحتاج أن أخسَرك.. كي أكسب قلمي

غادرْ قلبي واسكن في كتبي

فلنضحِّ معاً

من أجل خرافةٍ أكتبها لك

دعني أَشتهيك ولا أنولك

أستحضرك.. ولا تحضر

فهل يهزم قلمي، جبروت الحنين؟!

تسأل نفسها لمتى؟ لمتى ستلهي نفسها عن حبه بكراهيته وهى التي كانت تبحث عن مبرر مشرف للاتصال به، مناسبة ما، أو مكان يمكن أن يجمعهما (كنتِ تتحينين الفرص تحتالي عليها، حين قررت أن تدقي باب محموله وضعتِ سيناريو المحادثة، ووجدت نفسك تقولين: آلوه كيف أنت؟ هل انهزمت تماماً مثلى؟)

إطفاء كل منا سيجارته الأخيرة في جسد كلمات الآخر؟! ولكن لا يزال عندي ما يحول قلبه لمطفأة سجائر! ولكنى لا أملك إلا الصمت. هو يعتقد أن التاريخ معنا، والحقيقة أن صحيح التاريخ ضدنا؟! تماماً كرجل وقور جلس بجوار زوجته، بهيبة وصمت، بينما كانت أقدامه تعبث بحرية تحت الطاولة في حديث بذئ قد تم مدة خلسة مع امرأة جاره في يوم الاحتفال بعيد زواجه. هل سيكتفى بالصمت وينسى، ويرحل، أم سيفتح صندوق (باندورا) بكل الشرور؟ وفيه كل الماضي اللعين، أتمنى ألا يقع في تورط عشقي كما قال وهو يبحث في التاريخ؟ أريد أن أطالع التاريخ السري لجسدك لأعرف أنك حقاً (ابن العميد أنور) فأنت تتصرف مثله، تشبهه، كان لا يعرف يصادق جسداً يشتهيه! كانت أمي تسميه "ميتيران" فهي لا تراه إلا في معطف أسود، وإيشارب يلفه حول رقبته ونظارة تخفي حقيقة عينيه.. تاريخنا المشترك جعل هذا الحلال حراماً بعينه! لا يعرف

مراد التاريخ، فهل إذا عرف سيتعامل معه على أنه حادث ماضٍ ومَرَّ؟!

هل يعرف أن أبى واحد من الجماعات الإسلامية، وكانت الإسكندرية تهابه خوفاً لا كرامة، ولعب مع أبيه منذ أيام السادات، وقتها كان (الرائد مراد)، لعبوا طاولة وتركوا صراعهم لحظوظ النرد، ولعبوا شطرنج لحسم الخلاف، ولعبوا كوتشينه لتسلية الأجواء ولعب أبى أثناء تسالي الكوتشينة (بالجوكر) فتزوج أمي، ونقل أباك بعيداً بقنا في الصعيد! صار أبوك يكره الإسكندرية كراهة تذكره الهزيمة! ففيها تعرض للقتل وفقد سلاحه. كانت اللعبة المعتادة بين ضابط المباحث والمتطرف دينياً، ولم تكن كراهيته للإسكندرية لعبة خلافات زواج بين أبيك وأمك!! ومع مرور الوقت بقت بين الباشا (في أمن الدولة) والشيخ الثائر في الجماعة (الإسلامية المتشددة) كانا يتقدمان ويكبران وتتقدم وتكبر عداوتهما، معهما ولكن القدر هزم الاثنين، وهزمنا معهم، أهي زلة قدم أم زلة قدر؟

هرب أبى لليمن عام 1981 خوفاً من قَلْبَةِ السادات عليهم والتحفظات والاعتقالات الشديدة، وعين أبوك الذي واتته الفرصة فاغتنمها ووضع اسمه في قائمة المعتقلين الـ 600 الأساسيين وسط 1500 آخرين من كافة الأطياف! غضب الرئيس فبحث رجاله عن ثأرهم القديم! فر أبى وعاد بقوة (الشيخ العنتابلي)على سن ورمح، عاد بأموال لا أعرف من أين في 1985! تم رصدها لتوبة النسوان، النسوان الشهيرات في الفن فقط! باعتبارهن فتنة كبرى! لم يكن معه رصيد لبنات الشوارع والعاهرات في العشوائيات، ويبدو أنهن ليس منهن فتنة! يقولون في كل عصر إماء، وليست الحرة كالعبدة، فالأَمة عورتها مختلفة! إنها امرأه بعورة رجل! شَعرها ليس عيباً! وصدرها ليس مجروحاً! هكذا وضع الفقراء والمستضعفين عند أهل السياسة وشيوخ الدين.. ولذا فلهم الجنة. كان أبى يهدى النساء الحلوات، الناعسات الشهيرات من أهل الفن! يتُبن على يده، أقصد أموال يده! وكان أول ما فعل توبة الممثلة المسرحية الشهيرة

(سندس). لماذا؟ لأنه بينها وبين الدولة عشم كبير! أختارها فهي عين أبيك في الوسط الفني وفى قلبة أيضا!

ولما قاومت لم يكتفِ بالمال والدين بل تزوجها! لقد سألت أمي ولم تكذب، هل سألت أنت أمك؟! قالت المؤمن لا يكذب. فعلت كل شيء إلا الكذب! فما الحل؟! الله من دلع النساء وكيدهن ومن جنونك يا حياتي! لقد سمتني (نجمة) على اسم (كباريه) كانت ترقص فيه اسمه "نجمة العاشقين" على البحر بميامي قبل موهبة التمثيل التي احترفتها فجأة! مثلما احترف أبوك السياحة بعد خلع بدلته العسكرية! الغريب كل منهما صار خبيراً في قناعه الجديد!

اكتفِ يا أحمد بالوضوء حباً، فأنى أخاف عليك. هل تعرف لماذا كان الإمام على لا يقتل من يتعرى في المعارك؟ لأنه لم يكن ينظر لعورات الأخرين، فلا تعرينا وتنظر فنتكشف، التعري بالأسرار والتاريخ والأوراق أقسى من الموت!! فمن يتعرى يتمنى الموت ولا يجده، لقد مات في عين نفسه وعيون الآخرين! هل تريد المزيد؟ أعتقد فهمتَ؟

لا أعتقد أن تكون اشتهيْتَني.. ولا أنا اشتهيتك! الحب هو الذى اشتهانا معاً، وحلمَ ببطلين يشبهانا تماما، ليمثلا دورا غاية في الغرابة!!

بدأتْ من هذه الهواجس وفى يسر خلعت كل ما ترتدى من تنكر يرهقها .وكتبت (على كل حال، صلتي معه لا يمكن اختصارها بعبارات هزلية من نمط: زواج، طلاق، تحدٍ، إذلال.. لقد حرسنا البحر، بل كنا نحن البحر). توقفت... أهي تتحدث عن نفسها أم عن أمها وهى تعترف لها في مرض موتها في لبنان عام 2002م بأنها عشقت الضابط وفى وسط الغرام؟ جاء الشيخ وسحرها، وسرقها، وحوَّلها (قال لها انصهري فانصهرت، قال انسكبي فانسكبت) وحين ولدتني بعد سبعة أشهر من زواج الشيخ دخلها شك من أي الرجلين كانت نُطفتي؟! لماذا يأتي حبك في هيئة خطيئة؟ كيف اكتشفت أنى بنت الأسطورة؟ تلك الملكة التي جلس الضابط يعطر رجليها بالماء والريحان، والشيخ يوزنها بالذهب. كان صدرها يعمدهما معاً بالحنان، وكان لحبهما نكهة العمل

السرى ومتعته القاتلة؟ تأقلمت أمي على هذا النمط العاطفي الذى لا مكان فيه للغيرة ولا للامتلاك، مستمتعة بالحرية وعدم الالتزام! إنه الماضي (الله نفسه لا يغير الماضي وإنما يحاسبنا علية!) كنت أشعر أنني أتحمل وحدى مسؤولية ذلك الوضع العاطفي الشاذ، ولكن عبثاً كنت أحاول الوقوف في طريق شلال حب رجل مثلك، حب يجرفني لشبابك وعنفوانك وينحدر بي إلى اللامنطق حين يلامس العشق الجنون أو الموت، لم أكن أعرف وقتها بأنى أمنح الذكريات حق مطاردتي، لم يكن لأحدنا وعى لينتبه إلى أن العشق اسم ثنائي لا مكان فيه لطرف ثالث، ولذا عندما تحول لمثلث، ابتلعنا كما يبتلع مثلث (برمودا) البواخر التي تعبره، فثالثنا امرأة أخرى هي أمي وماضي رجل هو أبوك! تاريخنا كالجريمة المستمرة التي لا تنقضي بمرور الوقت، فسيفها مسلط على عنقينا!! حتى تاريخ ميلادي زوَّرته في خيالك، فأنا من برج الحمل، ولكنى قلت إنى من السرطان، أتدرى

أن برج الحمل يشكل أكبر نسبة في الكوارث العاطفية، فقد أكون أنا من يقتلك؟

أأسرِّب لك جنون تاريخي وتاريخك قبل أن يعرفه المخبرين أم أنتظر وهم سيلفِّقون شيًئا لغيرى؟!! أقصى ما يمكن أن تعلمه المرأة اللحوحة ذات الحجاب المزركش التي أرسلتها تتلصص سيرتى، وتعرف سرى (وقد تصل إليه؟): أن البيت الذى عرفتني منه ليس بيتي وأن من عشت معهم كانوا كمبارس يمثلون دور عائلة، كانا خالتي وزوجها الطيب، ليست وحدها المصالح تتصالح، المصائب تفعل نفس الشيء! مصيبة بنت يهملها أبواها، ومصيبة زوجين يهملهما القدر، رحبا بي وبالعرض فقد كانا لا ينجبان، كل هذا الحنان ولا ينجبان! كيف لوث ما بيننا؟!

إنها الرواية آكلة الأجناس. غوايتها تأكلنا وتهضمنا، وتفضحنا، وتقيم جحيمنا، ولكن ما الذى نفعله والوهم بيني وبينك "حقيقة؟! أليس الأدب نوعا من الاعتراف كما قال لك يوسف إدريس؟!هل روايتها صادقة وكلامها كاذب؟

حين قالت لي: "ارحل لأنني في حضرة الكتابة فلا مفر من الصدق، نعم رفضتك، ولو عاد الزمان ما ترددت في الرفض مرة أخرى، رجل مثل كل الرجال، أنت تريدني وتريد الحب معي، لكنني لا أريد أحدا ولا تستهويني فكرة الحب مع أي رجل. خلقت لأكون له، هو فقط مصيري وغايتي هو رمادي الملتهب، متقلب المزاج، غير قابل للأسر، في أعماقه ترقد أصداف الحكمة، وحين يشاء يخاصم أو يصالح: هو قلمي وحده الآمر الناهي في شؤوني، هو قلمي له وحده السلطان على مجرى دمى ونشوتي، وهو مأساتي الجميلة، هو قلمي سر فرحتي وسر عذابي، هو النار التي تطهِّر جروحي، قصَّتي التي أسكنها وتسكنني. قلمي هو بحرى بيني وبينه مد وجزر، يناديني، أسرع إليه، أرتمى على صفحة ورق بيضاء، أستسلم للإبحار كما لم أستسلم لأي رجل، وكيف لا أفعل؟ أليس في الاستسلام للكتابة أجمل الحرية؟"

أم روايتها خيال وكلامها صادق؟!

لعبة مسلية تلك التي اخترعتها وصدقتها، كانت روايتها كحقيبة كثيرة الجيوب السرديةٍ مرتبة بنيَّة تضليلية. فمنذ الصفحة الأولى، تبدو الكاتبة مشغولة بترتيب حقيبة ذاكرتها في (غرفة خاصة) وكأنها لا تشعر بوجود القارئ.. ولكن القارئ لا يقاوم شهوة التلصص على ذاكرة مبعثرة على سرير؟! فتسعل كي تنبهها إلى وجودك، فتدعوك للجلوس على ناحية السرير وتروح تقص عليك أسرارا ليست سوى أسرارك! فإذا بك تكتشف أنها لم تبعثر سوى ثيابك، منامتك، أدوات حلاقتك، عطرك! فالحقيبة كثيرة الجيوب السرية لم تُفرغ منها على مخدعها إلا "جيبا واحدا"، ذاكرتك أنت! فاذا بها تتلصص عليك في الوقت الذى كنت تتوقع أن تتلصص عليها، تراك عاريا! بعد أن اعتقدت أن الفرصة لاحت لتراها بدون منامتها. هل هناك خطأ غير مقصود، أثناء الانشغال بتنظيف سلاح الكلمات، فلا داعي لتوهم جريمة محبرة مدبرة، كل ما في الأمر أن القلم شد سوستة الجيب - الذى كنت أريد أنا ستره - مع أن الرواية لا تعرف الستر؟

وفى قاع الجيب كانت رسائلي. ذاكرتي، أو ذاكرتها معي.. فلم تعرف إن كانت أيامى أم أيامها؟! فتفجرت الرواية. تماما كما حدث مع غادة السمان، وجدتْ رسائل غسان كنفاني، فلم تقاوم وكتبتْ كتابا.

الشاعر ممدوح عدوان يقول (الكاتب لا أسرار له لأنه بالأصل يكتب أسراره)، فمن يكذب الشاعر؟! كانت تقول في روايتها: "حين تكون كائنا حبريا فلا تخاف من رؤية نفسك عاريا، لا خوف عليك من قشعريرة مرتجفة على الورق أمام بركة حبر. لقد انتهيت كشخص .. وبدأت كشخصية؟

ولكن مَن المرأة ذات الحجاب المزركش التي تتلصص عليها لصالحي.. مَن؟! وأتذكَّر جارتنا التي ركبت معي للإسكندرية؟!

(6)

دنانير حملت إلى بغداد، وأخذت عن ابن جامع، واشتراها يحيى بن خالد البرمكي وأسمع الرشيد غناها، فاشتد إعجابه بها ووهبها عقداً قيمته ثلاثون ألف دينار، وبعد قتل الرشيد البرامكة دعاها إليه وأمرها أن تغني، فقالت له: يا أمير المؤمنين أني آليت ألا أغني بعد سيدي أبدا. فغضب، وأمر بصفعها فصُفعت، وأعطيت العود فأخذته وهي تبكي أحرَّ بكاء واندفعت تغني: يا دار سلمى بسارح السند.. بين الثنايا ومسقط اللبد.. لما رأيت الديار قد درست.. أيقنت أن النعيم لم يعد.. أتابع انصرافها من الديوان مغلولة في حراسة جنديين، وأنشدها شعراً: وما زال يشكو الحب حتى رأيته تنفس في أحشائه وتكلما.. وأطلب إليها أن تجيزه فأجازته قائله: ويبكي فأبكي رحمة لبكائه.. إذا ما بكى دمعا بكيت له دما... فرقَّ لها الرشيد وأمر بإطلاقها، أنظر في وجهها بعد أن طلقوها فأجدها "ليلا" غاضبة تستدير، وتشير لي بإصبعها الأوسط وهى تحركه في حركة إباحية؟!)

أستيقظ من الكابوس الغريب الذى ارتحل بي للدولة الأموية لأجدني ممدداً على الأرض في مواجهة التلفاز ويدى اليمنى معلقه بمكتبتي وأسقطت بعض الكتب التي غطتنى حتى الصباح، أزيح عنى كتاب ثقيل فينقلب مفتوحاً على نص في بدايته:

[وإذا بباب القصر قد فتح وخرجت منه عشرون جارية وعشرون عبدًا وامرأة أخيه تمشي بينهم وهي غاية في الحسن والجمال حتى وصلوا إلى فسقية وخلعوا ثيابهم وجلسوا مع بعضهم وإذا بامرأة الملك قالت: يا مسعود فجاءها عبد أسود فعانقها وعانقته وواقعها وكذلك باقي العبيد فعلوا بالجواري ولم يزالوا في بوس وعناق ونحو ذلك حتى ولى النهار.] كان الكتاب الثقيل ألف ليلة وليلة.

صورة (لليلان) لا تفارقني، تلك الفتاة التي تملك وجها صبوحا وعيونا "زرقاء عميقة" وتتودد إليَّ بروحها، كانت لهجتها باللبناني ولكنتها الفرنساوي تدغدغني؟! كانت آخر علاقتي بها في فورة 25 يناير حيث جذب الانتباه "بمقهى

البستان" طاولة حولها ثلاث فتيات أجانب يدخنون النرجيلة ومهتمات بأمر مظاهرات النساء ومع كل واحدة لاب توب حيث قالت إحداهن "ليلان" بصوت مسموع: ها الزلمة بتخربطون؟ عرفت يومها "ليلا" ناشطة حقوقية لبنانية، تعمل في وكالة أخبار فرنسية وتغطي أحداث ما أسمته (ربيع الميادين). كانت الوحيدة بينهن التي تعرف العربية! ترى أن ما يحدث في مصر "حالة ثورية" وتقول: هناك فرق بين الثورة والحالة الثورية! ولا تكمل ما الفرق!

أشعر بفأس الصداع تهد في رأسي. أتجه للمطبخ بعد أن نزعت عنى جلبابي المبلول بالعرق، تركت السكر جانباً، ارتشفت قهوتي مُرُة، فكرت في هذا الطعم العذب للقهوة المُرة... الجرائد كالعادة أسفل باب الشقة، الآن تغير الموقف، وقف الناس من ثورة 25 يناير في معسكرين مختلفين وكأنها ثورة "الشك": فالبعض ينضم للأستاذ "محمود الكردوسى" ويهيل عليها التراب، ويدفنها وأيامها ويعتبرها مؤامرة شتوية، لتكون مصر كسوريا وليبيا، فالمَثل يقول "البيض

الفاسد يتدحرج على بعضه". والبعض ينضم للأستاذ "علاء الأسواني" ويعتبرها ثورة الثورات منذ 1919 فلا بعدها ولا قبلها (قامت شهراً، وسُرقت جهرًا). ويختلف الكتاب ويختلف الثوار: هل انتهت ثورتهم بتخلي مبارك وحلِّ المجالس النيابية، والحزب الوطني؟ أم أنها مستمرة ضد من سرقوها؟! أهي ثورة أم فورة- حالة ثورية أم زلزال ثوري وراءه توابع؟! أم كانت بحرا لجيا سبح فيه الجميع: الداخل والخارج؟

أفكر... "ليلان" خرجت من دنانير، أهو الاستنساخ والحلول الغيبي الذى يسهل في قوانين الأحلام!! وأتذكر... [وجدت (الرئيس مرسى) يفتح صدره في ميدان التحرير ليثبت أنه لا يرتدي قميصا مضادا للرصاص؟! أقول: لأن أحد الصدف السخيفة لـ 25 يناير أن نرد الحظ خيرنا بقوة وبالإجبار بين "مرسى- والإخوان" و"شفيق والمجتمع القديم - الفلول".؟!.. ضحكت.

أسألها: من يدفع للزمار؟ هل في دماء الشهداء شبهة الدولار واليورو؟! الموضوع لم تعيره انتباها، وأردنْ هي وأخواتها الزوغان منه؟! أكرر هل للثورة ملف سرى؟!

قالت فرنسوا: هل أنت من معتنقي نظرية أن الثورة تأكل أبناءها؟

قلت: أنا من معتنقي نظرية أن الحب يأكل عشاقه؟!

فرنسوا: لا تدسَ السم في تفاحة الثورة، لأنه هناك من دس السم في تفاحة الحب!

يضحك ثلاثتهن ويقلن: من لا يجعل الحب فوق مستوى الشبهات يشك في كل شيء، بما في ذلك الثورة، والثوار؟

هربن من السؤال، هربن من ملف الغرب في الثورة بالمال والتحريض ورسم الخطط والتدريب، فحيثما وجدت فرنسا تحسست مسدسي؟

فكرت في مقاطعة الفاتنات الثلاثة، ولكن قلت لماذا لا أبقي على ليلان؟ التي تملك وجها صبوحا وعينين عميقتين،

وتتودد إليَّ بروحها، إن لهجتها باللبناني أو الفرنساوي تدغدغني؟

حدث شيء يشبه "قانون الجذب" وهو قدرة الأفكار سواء في الوعى أو اللاوعي على جلب الفرص، فالأفكار لها قدرة على التأثير على ما حولنا، ففي قانون الجذب المرغوبُ يجسِّد نفسَه! فقد بدأ الثلاثة يستأذنون تباعاً فرادى ولم تبقَ سوى (ليلان أو ليلا) معي في المطعم وكان الوقت عند المغرب.

فقلت لها: لم يبقَ سوانا بالمطعم؟! وأكملت بغناء لكاظم الساهر يبدأ بنفس العبارة، ولكن ليلان حلت اللغز حين اعترفت بأنهن سيسافرن غدا للبنان ومنها إلى سوريا لمتابعة الربيع السوري الذى غير عناوين النهايات؟! فلا (بشار) هرب للسعودية، ولا تمكن منه الثوار على طريقة ليبيا؟ ولا وقع مستسلماً كما حدث عندكم؟! استأذنت بالانصراف لأنها مضطرة أن تذهب لمكتبات وسط البلد وتشترى كتبا بالعربية عن الإخوان المسلمين؟!

قالت: إنهم حصاد الثورات العربية عندكم وفى ليبيا وتونس واليمن، وبالتأكيد وصلوا لسوريا؟!

قلت: أبي رحمه الله ضابط شرطة تخصص في النشاط الديني ولديه كتب ومذكرات ومراجع كثيرة، وقد يثلج روحه أن يستفيد منها أحد، فما رأيك؟ مفتاح فيلا شبرا معي ونذهب لمنزلنا الذى لم أطرقه منذ سنوات، قد تجدى مرادك وأكثر.

قالت: هيا نذهب لبيت الأشباح؟!

أعجبتها مذكرات بخط اليد لأبى، قرأنا في الصفحة الأولى منها (في فترة الثمانيات كان هناك ثلاث جماعات السيف شعارها -:

الإخوان: (سيفان متقاطعان، بينهما مصحف، وشعار وأعدو..)

وجماعة إسلامية (سيفان متقاطعان بينهما مصحف، وشعار الله أكبر ولله الحمد)

وجماعة إسلامية أخرى لها (مصحف يخرج منه السيف وشعار: قاتلوهم حتى لا تكون فتنة)

قلت: لم يكونوا يريدون الدين، بل السلطة باسم الدين، لم يكتفوا بالمصحف، بل جعلوا السيوف حول المصحف، أتتذكرين التاريخ ومَن حمل المصحف على السيوف؟ هل تعرفي فتنة الإسلام الكبرى؟

قالت: يبدو أن الإخوان فرضوا شعارهم على الجميع منذ زمن؟!

قلت: لماذا أوَّلْنا النص فسرناه جرياً وراء رغبتنا؟ رغبة من يقترب، ومن يفلت، فالنصوص فتنة كبرى إذا حدث التلبيس بالرغبات.. فسري لي حديث النبي لعمار بن ياسر" تقتلك الفئة الباغية"، فقد مات عمار في موقعة بين المسلمين، فاختلف المسلمون وبكى البعض وانسحب ووقف القتال؟! قتله جيش معاوية، في يوم (صٌفِين) وهم الفئة الباغية.. فأخرج (عمرو بن العاص) بدهاء وكان في شيعة

معاوية، من النص تأويلا مختلفا، فقد اعتبر (من دفع عمار للقتال على غير حق هم الباغون)، فعادت السيوف للقتال بعد توقفها عند مصرع عمار؟!

قالت: هنا نتوقف ونترك الأمر لله، فليس لنا القول في صحابة الرسول؟!

قلت: الأديان نحن نؤولها ونصدق اجتهادنا؟! ولكنها تبقي اجتهادنا - "رأينا"- وليس ما يقوله صحيح الدين، فعلي بن أبي طالب يقول: (القرآن حمَّال أوجه)، فالدين الذى يحثنا على الصدق، يمنحنا تعابير فضفاضة تحمل أكثر من معنى، فاللغة أداة ارتياب بطبعها.

احتفظتْ بالمذكرات، وعدة كتب: الإخوان والتنظيم السرى لـ د/عبد العظيم رمضان، والسادات والمباحث والإخوان لفؤاد علام سجَّلها كرم جبر، وأوراق مجمعة كتب عليها مذكرات على عشماوي، تخيرت حصادها بعد أن غرقنا في التراب، وتعفرنا.]

أصرخ وأنا انظر على الجرائد الصباحية: "ليلان" بين المقاتلين بسوريا بملابس الصاعقة وتحمل كلاشنكوف، خبر صغير في أسفل جريدة بصورتها يقطع كل شك.. يصنع نبوءة تلف الرأس كالزجاجة السابعة من البيرة الساخنة.

أحضرت اللاب توب وبدأت البحث.. ليلان ظهرت في فيديو.. الصوت صوتها، فذاكرتي الصوتية تشبه ذاكرة العميان، نفس عيونها؟!

ولكن الفيديو مشوش، إنها المراسلة العربية التي تحدثوا عنها. (قالت: نعم قدمت نفسى طواعية لثلاث مجاهدين استشهد أحدهم بعد ترك سريري بساعة.. لقد أحببتهم وتزوجتهم تباعاً في ثلاثة أيام، فلم يُسْبِني أو يؤذيني أحد؟! الرجال يفعلون ذلك دوماً، من يتوقع نوايا الحب الإجرامية، فنحن لا نشتبه في الحب؟ لذا يظل العشاق في خطر، فقد يغير الحب نفسه من عشاقه!)

فهل فعلا تم اغتصابها؟ هل قدمت نفسها لجهاد النكاح؟ هل كل هذا هراء؟ أين الحقيقة؟ وهل يعني هذا أن أيادي خفية تحاول هدم المجتمع العربي بإشاعة الفسق بين جوانبه وتحاول تدميره بإعادة دور الجواري؟!

هوس جنسي باسم الدين أو الثورة يدور الكل في فلكه كشكل من أشكال التغييب، ما أوجع الشّهوَة الَّتِي يواجهها أكثر من مستحيل وأكثر من مبدأ.. فهل فرويد يقود الربيع الجديد؟!

تمت

المؤلف في سطور:

الاسم : اشرف مصطفي توفيق محمد

وشهرته: اشرف توفيق

البريد الإليكتروني :Ashraftawfik11@gmail.com

الجنسية :مصري

حاصل على الدبلوم العالي للدراسات الإسلامية بامتياز وكان ترتيبه "الأول"

- حاصل على ماجستير قانون

- عضو أتحاد الكتاب، عضو أتيليه القاهرة

نشر عده كتب أهمها:

- نساء الملك فاروق

- جرائم المرأة "العام السري للنساء"

- المعارضة (جزئيين) "حاصل على جائزة سعاد الصباح للدراسات الإنسانية "

- اعترافات نساء أديبات،

- اشهر قصص الغرام (حاصل على جائزة يوسف السباعي- للنقد الأدبي)

- وقيدت ضد مجهول

- حريم في حياة الزعيم سعد زغلول "الثورة التي أيدها الحرملك" - حاصل على شهادة تقدير من مركز بحوث- حزب "الوفد"

نشر عده روايات أهمها:

– رواية ورقيه "مملكة الجنة"

- روايات إليكترونية : "سرير بلا أحلام" ، " الطريقة الفرنسية (جزآن)"

- رواية قصيرة (نوفيلا)" أهبك متعة"

صدر في هذه السلسلة

1- جمال الجزيري: مقهى الأدباء: رواية قصصية. ط1، يونيو 2015.

رابط الكتاب للتحميل:

http://www.mediafire.com/?zswdkv9aslw5h6j

2- جمال الجزيري: خارطة العودة: رواية تفاعلية غنائية. ط1، يونيو 2015.

رابط الكتاب للتحميل:

http://www.mediafire.com/?ic8ob4o2ppto187

3- أحمد سيد طه: ألف نيلة ونيلة. ط1، يونيو 2015.

رابط الكتاب للتحميل:

http://www.mediafire.com/?0we9ua9c2wx6ax2

4- محمد السيد الغتوري: أنشودة الشيطان. ط1، يونيو 2015.

رابط الكتاب للتحميل:

http://www.mediafire.com/?3whm8nzqk4c23k2

5- أميمة أحمد العزيز: القلادة. ط1، أغسطس 2015

رابط الكتاب للتحميل:

http://www.mediafire.com/?ia0gxee0lk6dpet

6- محمد السيد الغتوري: أسطورة العصامية. ط1، أغسطس 2015.

رابط الكتاب للتحميل:

http://www.mediafire.com/?lzm8mdiooipge5i